

العلام من الأدباء والشاعر

مكتبة لسان العرب  
www.lisanarb.com



# أبو حيـان التـوـحـيدـيـ

فـيلـسـوفـ الـأـدـبـاءـ وـأـدـيـبـ الـقـلـاسـفـةـ

إعداد

محمد علي الصباغ

ماجستير في اللغة العربية وآدابها

دار الكتب العلمية

بيروت - بيروت

الْأَكْلَامُ مِنَ الْأَدَبِ وَالشِّعْرِ

مكتبة لسان العرب  
www.lisanarab.com

# ابو حيـان التـوحـيدـي

فـيلـسـوفـ الـأـدـبـ وـأـدـيـبـ الـفـلـاسـفـةـ

إعداد  
محمد علي الصباغ  
ماجستير في اللغة العربية وأدابها

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان



جَمِيعِ الْجَعْفُورِ مَجْمُرَةُ  
لَدَارِ الْكِتَبِ الْعَلَمِيَّةِ  
بَيْرُوت - لِبَنَان

الطبعة الأولى  
١٤١١ - ١٩٩٠ م

---

طلب من: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان  
مرتب: ١١/٩٤٢٤ تلكس: ٤١٢٤٥٦٤  
هاتف: ٣٦٦١٣٥ - ٨١٥٥٧٣

二

أبو حيان التوحيدى واحد من ألمع مفكري العربية وأدبائها، حتى انه لقب بفليسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، ذلك أن كتبه تجمع إلى عمق الفكرة أناقة العبارة ورشاقة الأسلوب، من أجل ذلك فإن بعض المؤرخين يلقبونه بالجاحظ الثاني، هذا فضلاً عن انتهاجه مذهب المعتزلة.

وأبو حيان على نباهة شأنه وسعة علمه وفضله، كان سيء الحظ في حياته مضطهدًا محدود الرزق، عمل بالوراقة والنسخ حيناً، وفي خدمة الوزير ابن العميد، ثم الوزير الصاحب بن عباد حيناً آخر ولم يلق كما تقول المصادر من أي منهم إلا كل إهمال واحتقار، الأمر الذي دفع به أن يكتب فيهما كتاباً كبيراً أسماه «أخلاق الوزيرين» أو «مثالت الوزيرين» حيث نال من قدرهما بقصوة.

لقد كان أبو حيان خصيـب الفـكر كثـير العـطاء مـتـبـحـراً  
بعـقـمـ فـي عـدـيدـ مـن الـوـانـ الـعـرـفـةـ، وـأـلـفـ أـكـثـرـ مـنـ عـشـرـينـ  
كتـابـاًـ مـنـ عـيـونـ الـفـكـرـ الـعـرـبـيـ وـأـدـابـهـ، وـلـكـنـ حـيـنـ ضـاقـتـ بـهـ

أسباب الرزق، حقد على الناس جمِيعاً وتباور حقده عليهم في إحراق كتبه جمِيعاً، ولم يسلم منها إلا ما كان في أيدي الناس.

وها نحن اليوم نعود لنلقى الضوء على هذا الرجل الذي لم يلقَ في حياته إلَّا كل اهمال واحتقار، ولم يكن حظه في مماته خيراً منه في حياته فقد ظل مجهول الولادة مجهول الوفاة، مغموراً خاملاً الذكر رغم كل ما أُعطي ورغم كل ما قدم.

المؤلف

مكتبة لسان العرب  
[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

## عصره: نبذة تاريخية

### أ - الناحية السياسية :

انقضى العهد الذهبي للدولة العباسية بحلول الثلث الأول للقرن الثالث الهجري ، فالفترة الممتدّة من سنة ٢٣٢ هـ إلى سنة ٤٤٠ هـ تعتبر فترة عصر الدوليات التي أخذت تنتشر على أنقاض الدولة العباسية ، وقد أخذت كل دويلة من هذه الدوليات تنازع السلطة المركزية في بغداد القوة والسلطان ، ولم يعد للخلافة في هذه المرحلة سوى الاسم ، وأخذ رؤساء الجناد يتلاءبون بالخلفاء حتى أصبحوا كالدمى في أيديهم ، يقتلون منهم من يشاون ويُولون من يشاؤون وقد بدأوا بقتلهم الخليفة المتوكّل نفسه سنة ٤٧٦ هـ فزال بذلك عن الخلافة زهوها وسلطانها . ومن هذه الدول التي استقلت ذاتياً وإدارياً عن مركز الخلافة في بغداد الدولة الصفارية (٢٥٤ - ٢٩٦ هـ) في فارس ، وقد قامت بعدها الدولة السامانية وامتدت إلى ما وراء النهر . وفي مصر أيضاً قامت الدولة الطولونية (٢٥٣ - ٢٩٢ هـ) التي استقلّ بها

محمد بن طفع حيث لقبه الخليفة العباسي الراضي بالله «بالإخشيد» ومعناها بالفارسية «السيد» ولم يلبث حكم الإخشيد هذا أن امتد إلى الشام والحجاز، وبقي على سدة الدولة الإخشيدية حتى وفاته سنة ٣٣٤ هـ فخلفه خادمه كافور.

وبعد وفاة كافور استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٨ هـ ويسطروا سلطانهم على الحجاز ومعظم الشام. وفي الموصل أسس ناصر الدولة الحسن بن حمدان الدولة الحمدانية (٣١٧ هـ - ٩٢٩ م). وفي سنة (٣٣٣ هـ - ٩٤٥ م) سار سيف الدولة علي بن حمدان وانتزع مدينة حلب من أيدي الإخشidiين وأسس دولة من أزهى الدوليات في التاريخ العربي، كما كانت الصخرة الصلبة التي تحطمـت عليها هجمات الروم، فقد دافعت عن الخلافة وهزمـت الروم في معارك عديدة. وقد ضم بلاط سيف الدولة في حلب رجالاً عظاماً من أصحاب السيف والقلم كالمنتبي وأبي فراس وأبي الفرج والشعالي وابن خالويه والفارابي. هذا مع العلم أن سيف الدولة نفسه كان أدبياً وشاعراً محباً للأدب وكلفاً به.

على أن الدولتين، الإخشيدية والحمدانية كانتا على طرفـي نقـض وهمـا تختصـمان على أواسـط الشـام، فمرة كان

يمتد حكم الحمدانيين إلى دمشق، ومرة يتراجع إلى حمص.

وأما الدولة البوهية، فقد تمكن عماد الدولة، علي بن بوهيه من منازعة مَرْداوِيْج وإقامة الدولة البوهية سنة ٣٢٠هـ. ثم جاء معز الدولة أحمد بن بوهيه وسار إلى بغداد واتخذ لنفسه لقب أمير الأمراء سنة ٣٣٤هـ ثم ما لبث أن خلع الخليفة المستكفي وسلم عينيه واعتقله إلى أن توفي بعد أيام. ولقد كان حكام هذه الدولة يميلون إلى العلوين ويعتبرونهم أصحاب الحق الشرعيين لأنتمائهم إلى الرسول الكريم فضلاً عن أنهم من سلالة يزدجرد الثالث آخر ملوك ساسان. ولقد فكر معز الدولة أن يعزل الخليفة العباسى ويعين مكانه خليفة علوياً ولكن أصحابه لم يقبلوا بذلك، وتمكنوا من اقناعه حتى عدل عن تنفيذ فكرته.

وبالإضافة إلى هذه الدوليات التي كانت قد بدأت بوضع الأسفاف العميق في جسم الدولة العباسية، فإن هناك حركات سياسية كانت تحمل الطابع الدينى أهمها الحركة القرمطية الرافضة لسياسة العباسين. وقد أسس هذه الحركة سنة (٢٧٧هـ - ٨٩٠م) داعية إسماعيلي من أهل الكوفة اسمه حمدان قرمط. ثم لم تلبث هذه الحركة أن امتدت إلى شرق الجزيرة العربية وبادية الشام فكثر عبادهم في أيام

رئيسهم أبي ظاهر سليمان (٣٢١ - ٣٣٢ هـ) الذي كان يقطع طريق الحجاج ونزع الحجر الأسود من الكعبة وحمله معه إلى الأحساء، ولكن ابنه سابور عاد فرد الحجر الأسود إلى مكانه في مكة سنة (٩٥١ - ٣٣٩ هـ). وقد لقيت الكوفة أهواً من القرامطة، إذ أغاروا عليها سنة ٣١٢ هـ وكذلك سنة ٣١٥ فهزموا في المرتين جند الخلافة وأسرروا قائده يوسف بن أبي الساج، كما اتجهوا إلى بغداد وهدّدوا ولكنهم لم يدخلوها. ثم عاودوا الكرة على الكوفة سنة ٣١٦ هـ. وقد هوجمت هذه المدينة المرموقة من حيث مكانتها العلمية المعازية للبصرة آنذاك، مراراً وتكراراً في السنوات ٣١٩ هـ و ٣٢٣ هـ و ٣٢٥ هـ من قبل القرامطة الذين كثُر مؤيدوهم في تلك الحقبة من الزمن.

وإلى جانب حركة القرامطة فقد ظهرت حركات بعض الخارج الذين غزوا الكوفة سنة ٣١٥ هـ وخربوا أسوارها. كما أغار عليها بنو نمير وبنو كلاب، وعاثوا بظاهرها فساداً مما اضطر أميرها أن يخرج إليهم ولكنه ما لبث أن وقع في أسرهم سنة ٣١٨ هـ، وظللت الحال على حالها من الفوضى والاضطراب السياسي والقلق الأمني، وظهر أن الدولة العباسية قد بدأت تتنافعها عوامل الانحلال وبدت عليها مظاهر الشيخوخة والعجز. وخصوصاً خلال فترة تولي كل من

الخلفاء المقتدر والقاهر والراضي والمتحفي والمستكفي والمطهع ، وعلى حد قول ابن الأثير أثناء حديثه عن حوادث سنة ٣٢٤ حيث لم يبق للخليفة غير بغداد وأعمالها ، وأما الحكم في جميع أنحاء الخلافة فهو لابن رائق وليس للخليفة .

## ب - الحياة الاجتماعية :

ان السلطة الفعلية في القرن الرابع الهجري كانت بأيدي آل بويه الفرس الذين امتد حكمهم من فارس إلى بغداد نفسها الأمر الذي جعلهم قادرين على الأخذ بزمام الأمور والتحكم بالبلاد ورقب العباد ، وقد أناطوا بأنفسهم أمر جباية الأموال ، فعمدوا في سبيل الحصول عليها إلى أبسط السبل وأرخصها فقد كانوا يقطعون الأرض والمناصب لمن يدفع لهم زيادة في كل عام ، فالوزير الذي يأتي مثلاً إلى منصبه من هذه الطريقة كان همه الأول والأخير جمع المال الذي دفعه أضعافاً مضاعفة ، وقد يُعين عاملأً من قبله ويستوفي منه مقدماً مبلغاً معيناً من المال ، ثم لا يلبث بعد مدة من الزمن أن يُعين عاملأً آخر مكان العامل الأول بعد أن يستوفي منه مبلغاً جديداً وهكذا دواليك ، الأمر الذي جعل الفساد يستشرى في جميع أركان الدولة حتى شمل الحسبة والقضاء وهما أهم ما يرتبط في حياة الناس المعيشية

والاجتماعية، فعمت الفوضى والسرقة والغش والرشوة والتلاعب بمقدرات حياة المواطنين مما جعل الإنسان العادي يغرق بالفقر والجوع والعزوز حتى أصبحت الحياة بالنسبة لأبناء الشعب حملاً ثقيلاً لا يطاق.

والذي ساهم مساهمة فعالة في تشتيت صرح الدولة العباسية هو كثرة الأجناس المتصارعة على موقع النفوذ. فلو تأملنا هذا الخليط السكاني المؤلف من العرب والفرس والأتراء والزنج والأراميين والروم، لوجدنا أنه من الواجب على هؤلاء الناس أن يجتمعوا على قاسم مشترك يوحدهم ويعملون دونه للمحافظة على روح الاستمرار والبقاء، وهم في ذلك إنما يحترمون الغاية الإلهية التي دعا إليها الإسلام في عمق تعاليمه السامية فيجتمعون حولها، فتنتصر بذلك إرادة العيش المشترك وتكتمل سعادة المجتمع، وتشمل كل بني الإنسان. ولكنهم مع الأسف، لم يدركوا بذلك أبداً، فقد كانت الشهوات هي التي تحركهم، والأهواء تدفعهم إلى ارتكاب أحط الحماقات وأحقنها، وخاصة أن بني بويه هؤلاء كانوا يحرضون الناس على التمرد على سلطة الخلافة في الوقت الذي كانوا يعملون فيه تحت سلطتها، مما جعل الخلافات تتعقّب بين السنة والشيعة، وانتشرت الفتن التي عبشت بلحمة المجتمع وتماسكه.

وإضافة إلى هذا النزاع المذهبى، فقد كان هناك نزاع خفى بين المسلمين والنصارى واليهود والبوديين، وكانوا جميعاً يناصبون السلطة السياسية العداء عن طريق الاتجاهات الخاصة التي يؤمنون بها.

وعلى الرغم مما رأينا من الصراعات المختلفة، فإننا نجد أن هذا القرن قد شهد حضارة مزدهرة وترفاً بالغاً في المطعم والملبس والمسكن، فقد غلب طراز الحياة الفارسي على هذا العصر بشكل عام وشامل، وأصبحت الأعياد الفارسية كالنيروز<sup>(١)</sup> والمهرجان<sup>(٢)</sup> أعياداً للعامة والخاصة من فرس وغير فرس.

كما انتشر اللهو في الأوساط المترفة وتعددت مظاهره ووجوهه، وقد ضخم الأدباء والشعراء مظاهر هذا اللهو مع ما يحمله من استهتار ومجون وعبث، وهم إنما يشيرون بذلك إلى أن عوامل اللهو موجودة في كل زمان ومكان ولكنها تستتر في عصور القوة السياسية، ثم تظهر وتشتهر في عصور الضعف السياسي، وهذا ما جعل اللهو ظاهراً شاملاً منتشرأ في القرن الرابع الهجري حينما فقد العرب سلطانهم

---

(١) النيروز، ٢١ آذار وهو عيد رأس السنة الفارسية.

(٢) المهرجان، أول الخريف.

السياسي وتقسم الحكم الإسلامي بين دولات متنازعه، فكان للهؤ خير متنفس للناس. حتى إذا جئنا نتحدث عن مقدار توزيع الثروة بين الناس فنجد الغنى الفاحش من جهة والفقير المدقع من جهة ثانية، فالثروات كانت موزعة توزيعاً غير عادل بسبب ما يعتمر النفوس من الظلم والطمع والأنانية. فقد كان هنالك أفراد من رجال الدولة ومن ذوي الجاه والسلطان في المجتمع يملكون من المال ما لا يُعد ولا يُحصى ويسرفون في المأكل والمشرب والمسكن والملاهي بينما نجد أن أبناء الشعب قد لا يجدون أحياناً ما ينفقون ولا ما يشعرون به بطونهم الخاوية.

### ج - الناحية الثقافية :

لا شك أن الحياة العلمية والأدبية والثقافية بصورة عامة، تتشعّش وتزدهر في ظل الاستقرار والهدوء والأمن ، ذلك لأن هذه العوامل تساعده على تأمين رغد العيش ومتاعة الحياة للإنسان، حتى إذا ما توفر للإنسان كل ذلك أمكنه أن يلجأ إلى المتعة النفسية والعقلية والجمالية، فتزدهر العلوم، وتنشط الأدب ، ولكن من الملاحظ بصورة عامة أن هذا الازدهار والنشاط لا يتوقف إذا اضطربت الحياة السياسية، لأن نمو العلوم والأداب والفنون وازدهارها أو تأخرها

وانحطاطها إنما يتقلب في أطوار بطيئة مديدة للغاية لا تساير الأطوار السياسية ولا تسير معها جنباً إلى جنب.

وإذا كان القرن الرابع الهجري عصر اضطراب سياسي أدى إلى نشوء دويلات استقلت عن الدولة الأم ولم ترتبط معها إلا بالاسم، فإن بلاتات هذه الدولات كانت ملادة للشعراء والأدباء ورجال العلم والفلسفة واللغة لما وجدوه فيها من تشجيع وتكرير فتفيض السنة أولئك الشعراء والأدباء بمدح سلاطين وأمراء تلك الدولات الذين كانوا يتنازعون على السلطة والنفوذ في كل شيء، وهم بأمس الحاجة إلى من يدافع عنهم بلسانه، كما راحوا هم يدافعون عن أنفسهم بشتى الطرق والوسائل سواء كانت عسكرية أو مادية. فكان الأديب أو الشاعر منهم لسان حال الأمير ومادحه ورافع اسمه بين الناس، فينبه ذكره ويذيع صيته بعد ما كان مغموراً.

وأما الكتابة فقد كانت في هذا القرن - الرابع الهجري - أوسع موضوعاً وأصفى أسلوباً وأبعد فكراً وأوضع منطقاً، فاتسع المجال في التراث لذوي الأفكار الثاقبة، فزینوه وحملوه بالتقسيم والسبع فنبع في هذا القرن أئمة الكتاب في المشرق والمغرب. ومن نبغ في هذا القرن شعراء وأدباء كثيرون. ونخص من شعرائه بالذكر: المتنبي والشريف الرضي ومهيار الديلمي وأبا فراس الحمداني وابن نباتة

السعدي وأبا العلاء المعربي وأبا الحسن التهامي والسرى  
الرفاء، كما نخص من أدبائه وكتابه: ابن العميد وابن عباد  
والصابى والهمذانى والخوارزمى وأبا حيان التوحيدى  
والأمدى وأبا علي القالى صاحب الأمالي وأبا الفرج  
الأصفهانى صاحب الأغانى والجرجانى صاحب الوساطة  
والشعالى والنيسابورى صاحب يتيمة الدهر والصولى صاحب  
كتاب الأوراق.

وأما في اللغة فقد نبغ الزجاج والأخفش ومحمد بن  
عرفة ونقطويه، وابن مجاهد، وابن دريد، وابن السراج وابن  
الأنبارى والأزهري وابن جنى والسيرافي وابن خالوته  
وغيرهم.

ولأدب هذا العصر خصائص مميزة حيث أنها لم تقتصر  
على الجوانب الفنية القائمة على الصناعة والتأنق في اللفظ  
والصورة بل تعدت إلى التأليف الذي يميل إلى النهج العلمي  
أيضاً.

كما رق أسلوب الشعر ولأن وأصبح في متناول جميع  
الأفهام مع ما يحمله من الطرافة والظرافة. على أن الجانب  
الأكبر من شعر القرن الرابع الهجري ظل في البلاطات  
محافظاً على أسلوب الجاهليين لما يحمله من خشونة البداوة

في أغراضها المألوفة كما يظهر من خلال شعر المتنبي والشريف الرضي والمعري .

هذا من الناحية اللفظية، وأما من الناحية المعنوية فإن للبيئة تأثيراً كبيراً على الأدب. ففي بلاط البويمين تبرز في الشعر نزعة التشيع، وفي بلاط سيف الدولة تبرز نزعة القوة والبطش في مقارعة أعداء الأمة، وفي بلاط كافور تبرز نزعة التزلف والمراؤغة، وبصورة إجمالية فقد كانت هذه البلات صرحاً فسيحة لازدهار الشعر والعلوم والفنون والأدب.

وإذا كنا نرى في أدب القرن الرابع الهجري نوعي التشيع المعتمد والمتطور فإننا نرى فيه اتساع نطاق الوصف في الطبيعة فبرز فن الزهريات، وكذلك اتساع القول في الشعر الوجداني في السياسة والأخلاق وأحاديث النفس. كما اتسع فن الإخوانيات في الشعر والأدب وهو عبارة عن الرسائل التي يتبادلها الأدباء شرعاً ونشرأ؟ وهذه الإخوانيات قطع وجданية خالصة لأنها تحمل، بين المتراسلين، صوراً من العتاب والتشوّق واللوم والشكراً؛ وقد تتناول أحياناً بحثاً أو نقداً أو نصحاً.

وأتسع كذلك فن القصص في أغراض مختلفة وأساليب متنوعة.

ومن القصة والحكاية تحدُّر فن المقامات الذي أتى به  
بديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ - ٣٩٨) هـ حيث نجد في مقاماته  
تسليمة ومتعة لما تحمله من الخصائص أهمها: المجلس  
والرواية والملحة والعقدة والموضوع واسم المقامات وشخصيتها  
والصناعة فيها والشعر الذي يتخللها.

والحق يقال: إن العصر العباسي عامة والقرن الرابع  
منه خاصةً كان من أزهى العصور الإسلامية علمًا وأدبًا  
وحضارةً، إذ نضجت فيه مواهب العربي التي تفتحت على  
أثر احتكاكه بالثقافة الهندية والفارسية واليونانية، فعمل على  
استيعابها وهضمها وأنشأ منها مجتمعةً ثقافةً جديدةً وحضارةً  
إسلامية خلدت على مر العصور.

## ٢ - أبو حيان التوحيدي

أ- حياته وصفاته :

أبو حيان التوسي، واسمه الحقيقي علي بن محمد بن العباس، الذي - مع الأسف - لم نعثر فيما بين أيدينا من الكتب على ترجمة وافية لحياته، اللهم إلا تلك التفاصير والأخبار الضئيلة المبعثرة هنا وهناك؛ فقد عجب ياقوت الحموي في أن مؤرخي الرجال لم يترجموا له، مع أنه «فيلسوف الأدباء وأديب الفلسفة» وكل ما تخبرنا عنه الكتب، أنه عاش نيفاً وثمانين عاماً في شظف من العيش ومرارة الحرمان ٩٢٢هـ - ١٤٣١هـ وأنه على نهاية شأنه ونبوغ علمه، كان سيء الحظ في حياته، عاش مضطهدًا محدود الرزق، عمل بالوراقة والنسخ حيناً وفي خدمة الوزير ابن العميد الملقب بذى الكفايتين، ويعنون بذلك كفاية السيف وكفاية القلم، وقد قام مقام أبيه العميد، واستوزر لركن الدولة البويهي، ثم لما تولى عضد الدولة نكبه وقتلته سنة ٣٦٦هـ. ثم الوزير الصاحب بن عباد حيناً آخر،

وهو الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن أبي الحسن عباد كان وزيراً لمؤيد الدولة أبي منصور بن بويه الديلمي ثم وزيراً لأخيه فخر الدولة أبي الحسن علي، وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء، لأنه صحب مؤيد الدولة بن بويه منذ الصبا. ولم يلق من أي منهما إلا كل إهمال واحتقار، الأمر الذي دفع به إلى أن يكتب فيهما كتاباً أسماه «أخلاق الوزيرين» أو «مثالب الوزيرين» نال فيه من قدرهما على ما فيهما من فضل وعلم ومروءة وقد أرجع الدكتور «الشكعة» ما لقيه أبو حيان من عنت في حياته إلى خلل في نفسه وعده مسؤولاً بعض الشيء عن ذلك، ولكنه لم يوضح وجهة نظره تلك ولم يحاول شرحها أو تعليلها: ولكن من الواضح، كما عُرف عنه، أنه كان حقير الملبس قبيح الهيئة سيء العادة، تنقصه بعض المرونة والتكيف مع محطيه، شأنه في ذلك شأن أمثاله من الأدباء والشعراء في ذلك العصر، أمثال «أبي الفرج الأصفهاني» صاحب كتاب «الأغاني» و«ابن الرومي» الشاعر المتظير، ومن لف لفهم. ودليلنا على ذلك ما جاء في كتابه «الامتناع والمؤانسة» نفسه على لسان صديقه «أبي الوفاء المهندس» عندما طلب هذا الأخير من أبي حيان أن يقص عليه كل ما دار بينه وبين الوزير أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان وزير صمصاص الدولة البوهي، من حديث

وذكره بنعمته عليه في وصله بالوزير، مع أنه - أبي حيان -  
ليس أهلاً لمصاحبة الوزراء لقبع هيئته وسوء عادته وقلة ميراثه  
وحقارة لبنته؛ حيث يقول أبو حيان على لسان صديقه أبي  
الوفاء المهندس : «قلت لي أadam الله تعالى توفيقك في كل  
قول وفعل ، وفي كل رأي ونظر - إنك تعلم يا أبي حيان  
أنك انكفت من الرّي ، إلى بغداد في آخر سنة سبعين بعد  
فوات مأمولك من ذي الكفايتين - نصر الله وجهه - عابساً على  
ابن عباد مغيبطاً منه ، مفروخ الكبد ، لما نالك به من الحرمان  
المُرِيب والصَّدْ القبيح ، واللقاء الكريه ، والجفاء الفاحش ،  
والقذع المؤلم ، والمعاملة السيئة ، والتغافل عن الثواب على  
الخدمة ، وحبس الأجرا على النسخ والوراقه ، والتجهم  
المتوالي عند كل لحظة ولحظة . وذكرت في الجملة شقاء  
اتصل بك في سفرك ذلك ، وعناء نال منك في عرض  
أحوالك . . . ووعدتك صلاح الحال عن ثبات النيه ، وصححة  
العقيدة ، وقلت : أنا أرعى حرك القديم حين التقينا  
(بأرْجان) وأنا على باب (ابن شاهوريه) الفقيه ، وعهدك  
الحديث حين اجتمعنا بمدينة السلام سنة ثمان وخمسين ؛  
وأوصلتك إلى الأستاذ أبي عبد الله العارض - أadam الله تأييده -  
وأنخطب لك قبولاً منه ، وتخفيض الإذن عليك . . . نعم  
ورتبت ذاك كله . . . هذا وأنت غرّ لا هيبة لك في لقاء

الكبراء، ومحاورة الوزراء؛ وهذا حالٌ تحتاج فيها إلى عادة غير عادتك، وإلى مران سوى مرانك، ولبسه لا تشبه لبستك».

ومهما يكن من أمر فإن أبا حيان واحد من أولئك العلماء الأدباء الذين أصيروا في حياتهم بالبؤس والفاقة والشقاء، وظل طوال حياته يجاهد ويكافح في التأليف واحتراف الوراقة والنسخ وجوب الأقطار، يقصد النساء والوزراء لعلهم يكافئون علمه وأدبها، فلم يحظ من كل ذلك بطائل، وعاش كما يقول هو عن نفسه على نحو أربعين درهماً في الشهر، حتى اضطر أن يأكل حشيش الأرض، بينما رأى كل من حوله من العلماء والشعراء يحظون من النساء بالمال الكثير والحظ الوفير، مع أن أكثرهم لا يدانيه علمًا أو يجاريه أدباءً، ولكن هي «الدنيا إذا أقبلت على أحد أعارته محاسن غيره وإن هي أدركت سلبته محاسن نفسه» وهكذا قصد أبو حيان من قصد من النساء والوزراء، مدح وأطري، وبكى واشتكي، وهدد وأوعد، فما نفعه مدحه ولا ذمه، ولا اطراوه ولا هجاوه. ودام الحال على هذا المنوال إلى أن لقي وجه ربه كما يذكر الدكتور الشكعة سنة ٤٠٠هـ على أن ابن خلكان يذكر في كتابه وفيات الأعيان أن أبا حيان كان موجوداً في السنة الأربعين، كما يذكر ذلك هو نفسه في كتابه «الصديق والصدقة» كما ترى بعض الروايات أنه توفي سنة ٤١٤هـ.

وهكذا لم يكن حظ الرجل في مماته أوفر منه في حياته. فقد ظل مغموراً خاملاً الذكر رغم كل ما أعطى وما قدم.

## ب - أصله ونشأته :

اختلف المؤرخون في أصله ولقبه ونشأته، فالبعض يراه فارسياً من شيراز أو من نيسابور، ويرى آخرون أنه عربي من مدينة واسط في العراق، وأنه شبّ في بغداد «ثم انتقل إلى شيراز، فهو خامل الذكر لم يصله أحد بنسب «فإن أحداً لم يذكره في كتاب ولا دمجه في خطاب»<sup>(١)</sup>، وجل ما يشيرون إليه أنه ابن بايع متوجول كان يبيع تمر التوحيد<sup>(٢)</sup> في أسواق بغداد وإلى هذا التمر نسب، وليس إلى التوحيديين المعتزلة القائلين بوحدة ذات الله وصفاته، كما ظن البعض، فليس في سيرته ما يدل على أنه كان من أهل المعتزلة، إذ كان في مطلع شبابه صوفياً تخالفاً نزعته طريقة المتكلمين، وهو شيخ في الصوفية كما ذكر ياقوت، جاحظي ليس على مذهب الجاحظ في الاعتزال، إنما على مذهب الفني في الكتابة والأداء، فقد سلك مسلكه واشتهر أن يتنظم في سلكه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) ياقوت الحموي - معجم الأدباء - ج ١٥ / ص ٥ - بيروت دار إحياء التراث العربي .

(٢) إسم لنوع من التمور.

(٣) المرجع نفسه، ج ١٥ / ص ٥ .

أما من حيث قوميته فالأرجح أنها عربية، رغم أن ياقوت يكاد يجزم في معجمه على انتماه الفارسي، فهو برأيه شيرازي الأصل أو نيسابوري، وعمدة بنى ساسان<sup>(١)</sup>، ولكن مما يضعف رأي ياقوت إذا ما علمنا أن أبي حيان لم يكن يعرف الفارسية مطلقاً، ولو كان قد ولد ونشأ حقاً في شيراز أو في نيسابور لكان على دراية ولو سطحية بهذه اللغة، بل هناك ما يشير إلى تعصبه للغة العربية وتفضيلها على سائر اللغات ومنها الفارسية بالذات بدليل قوله: «وقد سمعنا لغات كثيرة وإن لم نستوعبها - من جميع الأمم، كلغة أصحابنا العجم والروم والهنود والترك وخوارزم وصفلاط والأندلس والزنجر، فما وجدنا لشيء من هذه اللغات تتصدّع العربية، أعني الفرج التي في كلماتها، والفضاء الذي نجده بين حروفها والمسافة بين مخارجها ومعادلة التي تذوقها في أمثلتها والمساواة التي لا تجحد في أبنيتها»<sup>(٢)</sup>.

كما يبدو من حديث أبي حيان مع الوزير ابن سعدان أنه يفضل العرب على العجم، وذلك عندما روى له حديث

(١) بنو ساسان، ملوك الفرس.

(٢) أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، ج ١ / ص ٧٧ بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، تحقيق أحمد الزين وأحمد أمين.

ابن المقفع عنهم حيث قال ان العربي يعقل الأمم لصحة  
الفطرة واعتدال البنية وصواب الفكر وذكاء الفهم<sup>(١)</sup>.

ويتضح لنا الأمر جلياً عندما نسمع أبا حيان يخاطب  
الفرس على أساس أنه غريب بينهم، «أطاك الله بقاءكم،  
وجعل حظ الغريب السلامة بينكم، إذا فاتته الغنيمة منكم،  
وبعد فإني لم أرد بلادكم من العراق مباهيأ لكم، ولا حضرت  
مجالسكم طاعناً فيكم، ولا تأخرت عنكم متطاولاً  
عليكم»<sup>(٢)</sup>. فطبيعة هذا الحديث توحى أن التوحيدى من  
العراق وليس من فارس، وأن بلاده غير بلادهم، وأنه عربي،  
إن لم يكن أصلاً ونسباً، فولادة ولغة وتاريخاً وثقافة.

أما تاريخ مولده فقد ظل دون تحديد ثابت، سوى ما  
ذكره ياقوت في معجم الأدباء عن رسالة لابي حيان مؤرخة في  
المئة الرابعة للهجرة أنه في عشر التسعين، وعلى هذا  
الأساس يكون مولده سنة ٩٣٠ - ٥٢٢ م على وجه  
التقريب.

وليس بين أيدينا أية مصادر تلقي الضوء على طفولة

---

(١) المرجع نفسه، ج ١ / ص ٧٣.

(٢) التوحيدى - رسالة في العلوم ملحقة بكتاب (في الصداقه والصديق)،  
ص ٢٠٠، ذكرها ابراهيم، التوحيدى، ص ١٤ و ١٣ . مصر، المؤسسة  
العامة للتأليف والنشر.

أبي حيان ولقبه ونشاته وأسرته ولا هو قدّم شيئاً عن نسبه وعائلته وبقي سجله الأسري مجهولاً وهذا ما دفع زكي مبارك في كتابه النثر الفني إلى القول: «لا تسألني متى ولد وأين ولد، فذلك رجل نشا في بيئة خاملة لم تكن تطمح في مجد حتى تقييد تاريخ ميلاده»<sup>(١)</sup> فقد عاش أبو حيان - كما هو واضح - في كنف أسرة فقيرة معدومة، محروماً من العطف والحنان رازحاً تحت وطأة الحاجة والحرمان، مما ولد في نفسه شعوراً بالألم المرير والسخط الدائم على المجتمع، وماذا تتضرر غير ذلك من إنسان فقد كل شيء في وقت مبكر، فقد فقد في مسيرة حياته الصديق المخلص والصاحب والتابع والرئيس بدليل قوله: «إنه ظل طول عمره لا يجد حوله ولداً نجيفاً وصديقاً حبيباً وصاحبأ قريباً وتابعأ أديباً ورئيساً منيماً»<sup>(٢)</sup>. ولم يعرف عنه أنه تزوج أو انجب أولاداً أو عاش حياة أسرية مستقرة. مما أتاح له التنقل الدائم طلباً للعلم وسعياً وراء الجاه والمال.

### ج - مهنته وثقافته ومؤلفاته:

لجا أبو حيان منذ مطلع شبابه إلى مهنة الوراقة، حيث كان ينصرف إلى نسخ الكتب لقاء أجر زهيد وظل صيته

(١) زكي مبارك، النثر الفني، ج ٢، ص ١٦١، بيروت، دار الجليل.

(٢) ياقوت، ج ١٥، ص ١٩.

مغموراً لا يبارح دكاين الوراقين، فلم يحفل به أحد، ولم يتشر أمره بين مثقفي وأدباء عصره، إذ كان يصل الليل بالنهار في مهنته دون أن يعلم أحد شيئاً عن ظروف حياته العائلية والاجتماعية والإنسانية، حتى صمم أخيراً سنة ٣٥٠هـ<sup>(١)</sup> وهو على أبواب الأربعين، على وجه التقريب، على الخروج من عالمه والنظر إلى ما حوله في عصر زهت فيه معظم العلوم والمعارف.

والحقيقة تُقال أنه كان لمهنة الوراقة أثر بارز وأساسي على ثقافة أبي حيان، فقد أفسحت له في المجال أمام قراءة شتى أنواع الكتب وأشكالها فقويت حافظته وتوقد ذهنه واتسعت مداركه وتنوعت ثقافته، مما جعله يشعر بنهم كبير إلى العلم، فطفق يغزو مجالس العلماء والأدباء والمفكرين ويحضر حلقات التدريس عندهم، وكان من بين أساتذته أبو سعيد السيرافي المتوفى عام ٣٦٨هـ، شيخ الشيوخ وإمام الأئمة معرفة بال نحو والفقه واللغة والشعر والقرآن والحديث والكلام والحساب والهندسة، وأبو سليمان المنطقي المتوفى عام ٣٨٠هـ - ٩٩٠م، وكان فيلسوفاً لغوياً له عناية بالشعر

---

(١) حسين مروء - تراثنا كيف نعرفه، ص ١٩٢ - بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية. ط١، ١٩٨٥.

والأدب وهو بين العلماء أدقهم نظراً وأصفاهم فكراً وأظفراهم بالدبر، غزير البحر واسع الصدر، ثم الفيلسوف النصراني يحيى بن عدي المتوفى عام ٣٦٤هـ، انتهت إليه رئاسة أهل المنطق في زمانه.

ومن أساتذة التوحيد أيضاً علي بن عيسى الرمانى المتوفى عام ٣٨٤هـ، وكان أحد مشاهير الأئمة في مختلف العلوم وخاصة في النحو، ثم أحمد بن بشر المرزوقي، المتوفى سنة ٣٦٢هـ، وتلقى عليه أصول الفقه الشافعى كما أخذ عنه الكثير من العلوم والأداب<sup>(١)</sup>.

إن نظرة سريعة على أساتذة أبي حيان ترينا أسباب نبوغه، وتنوع معلوماته، وهو إلى جانب ذلك كان شغوفاً بكل علم متبعاً كل ثقافة، حتى غدا موسوعياً واسع الأفق خصب الخيال فيلسوفاً مع الفلسفه، متكلماً مع المتكلمين، لغوياً مع اللغويين ومتصوفاً مع المتصوفين، ثم إنه فيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، محقق الكلام ومتكلم المحققين وإمام البلغاء، فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة وفصاحة، كثير التحصيل للعلوم واسع الدراسة والرواية<sup>(٢)</sup>. لذلك كان من الطبيعي أن تكثر مؤلفاته وتنوع موضوعاتها، وقد وصلنا أكثرها رغم أنه أحرقها في أواخر حياته، إذ أن معظمها كان منسوخاً لدى بعض

(١) ياقوت، ج ٨ / ص ١٥٠.

(٢) المرجع نفسه، ج ١٥ / ص ٥.

أصدقائه فنجا من التلف. ورغم ذلك فقد ترك أبو حيان للمكتبة العربية من مؤلفاته الكثيرة والمتنوعة ما يضعه في مصاف الطبة الأولى من المثقفين، فهذا ياقوت الحموي يذكر له في معجمه عدّة كتب أهمها:

- ١ - كتاب رسالة الصديق.
- ٢ - كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي.
- ٣ - كتاب الإمتاع والمؤانسة.
- ٤ - كتاب الإشارات الإلهية.
- ٥ - كتاب الزلفة، أو الزُّلْفَى.
- ٦ - المقابلة، (الم مقابلات).
- ٧ - كتاب تقريرظ الجاحظ.
- ٨ - كتاب ذم الوزيرين.
- ٩ - كتاب الحج العقلاني إذا صاق الفضاء عن الحج الشرعي.
- ١٠ - كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة.
- ١١ - كتاب الرسالة البغدادية.
- ١٢ - كتاب الرسالة في أخبار الصوفية
- ١٣ - كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان.
- ١٤ - كتاب البصائر وهو عشرة مجلدات.
- ١٥ - كتاب المحاضرات والمناظرات.

وهنالك كتب أخرى سوى هذه التي ذكرها ياقوت هي :  
كتاب الحوامل والشوامل ، ورسائل عدة مثل حكاية أبي القاسم البغدادي ، ورسالة الحياة ، ورسالة السقيفة ، ورسالة في علم الكتابة ، ورسالة في العلوم ، ومناظرة بين أبي بشر متى بن يونس وأبي سعيد السيرافي . وهنالك كتاب سماه التوحيدى النواذر ليس منه شيء بين أيدينا ، ولربما التبست أسماء كتبه على ناسخ أغفل ، أو سها ، أو جهل .

وأما كتبه المطبوعة والمنشورة فهي :

- ١ - رسالة الصديق والصدقة .
- ٢ - الامتناع والمؤانسة .
- ٣ - الاشارات الإلهية .
- ٤ - ثلاث رسائل (العلوم ، السقيفة ، علم الكتابة) .
- ٥ - البصائر والذخائر .
- ٦ - حكاية أبي القاسم البغدادي .
- ٧ - مما نشره أحمد فارس الشدياق ، صاحب «الجوائب» بالاستانة : رسالتان للعلامة الشهير أبي حيان التوحيدى ، رسالة الصدقة والصديق ، ورسالة العلوم سنة ١٨٨٤ .
- ٨ - المقابسات .

- ٩ - مناظرة بين أبي بشر متى بن يونس القبائني وأبي سعيد السيرافي في المنطق اليوناني والنحو العربي .
- ١٠ - الحوامل والشواطل .
- ١١ - ذم الوزيرين .
- ١٢ - رسالة القاضي أبي سهل .
- ١٣ - رسالة الحياة .
- ١٤ - رسالة السقيفة .
- ١٥ - رسالة في علم الكتابة .

أما كتبه المفقودة فيرجح أنها .

- ١ - رسالة في : الرد على ابن جني في شعر المتنبي .
- ٢ - رسالة في : الحنين إلى الأوطان .
- ٣ - رسالة في : صلات الفقهاء في المناظرة .
- ٤ - رسالة في : الصوفية .
- ٥ - رسالة في : أخبار الصوفية .
- ٦ - رسالة في : البغدادية .

#### د - علاقاته واتصالاته :

قلنا إن أبو حيان كان قد احترف مهنة الوراقة وظل فيها عشرات السنين دون أن ترضي طموحه إلى الثراء والمجد ، فقد أصبحت هذه الحرفة بالنسبة له حرفة الشؤم لأن فيها

ضياع العمر والبصر، لذلك أخذ يبحث عن الطرق التي قد توصله إلى أهدافه، فقرر الاتصال بالوزراء وأرباب السلطة شأنه في ذلك شأن غيره من الأدباء والشعراء والمفكرين الذين ينعمون بالعطایا والهبات وينالون الحظوة وهو يرى نفسه أنه متفوق عليهم، لذلك عزّ عليه أن يتنعم غيره بينما هو يعاني من ألم الفقر وال الحاجة وخمول الذكر، فاتصل بالحسن بن محمد المهليبي وزير معز الدولة البویهي وكان مكرماً للعلم والعلماء، عطوفاً على الأدباء والمفكرين، إلا أن العلاقة لم تلبث أن ساءت بينهما لمجاهرة التوحيد ببعض الآراء التي لم يرض عنها المهليبي فنفاه من بغداد سنة ٣٥٢هـ (١٩٦٣) بحجة الزندقة.

رحل أبو حيان بعد ذلك إلى الري واتصل بأبي الفضل بن العميد وكان وزيراً أدبياً قصده الشعراء والأدباء لمكارمه وجوده وكان بلاطه منتدى لأهل الفكر والقلم، إلا أن حظ التوحيد لم يكن سعيداً، فعاد من حيث أتى صفر اليدين، وكذلك جرى له مع أبي الفتح بن أبي الفضل بن العميد عندما تولى الوزارة بعد أبيه، حيث قابله بالصدود والاعتراض إثر الرسالة التي حملها إليه، ويندو فيها الرياء والملق والاستجداء، ويحط أبو حيان أخيراً رحاله في فناء الصاحب بن عباد وزير مؤيد الدولة البویهي حيث عرض

عليه خدماته ، فجعله ورافقاً في داره ، سنة ٣٦٧هـ ، وظل ينسج  
ثلاث سنوات على غير رضا منه دون أن يحصل على شيء ،  
فرجع عنه ذاماً له بل اجتهد كثيراً في النيل من كرامته والغض  
من مكانته .

ولما فارق أبو حيان فناء الصاحب بن عباد سنة ٣٧٠هـ  
عاد إلى بغداد كسير الخاطر دون أن يتحقق ما كان يتمناه ، وإذا  
عضته الحاجة عاد إلى حرفة الوراقة فأشفق عليه أبو الوفاء  
المهندس وقربه من الوزير ابن سعدان ، إلا أنَّ قدر  
التوحيد في الحياة لا تبدل له ، وتكون بذلك علاقته بهذا  
الوزير آخر صلاته بالوزراء وذوي الشأن ، إذ انتهت هذه  
العلاقة بابن سعدان بعد مقتل هذا الأخير بعد ستين فقط من  
اتصال أبي حيان به ومسامرته له<sup>(١)</sup> .

هـ - شخصيته :

والآن . لو تسأله لماذا أخفق أبو حيان حيث نجح غيره  
من الأدباء والمفكرين باتصالهم بالوزراء الذين اتصل هو  
بهم؟ . بل لماذا استثنى أبو حيان وحده في عصر كانت فيه  
مجالس الملوك والوزراء منتديات أدبية تزخر بالأدباء والشعراء  
والمفكرين الوافدين إليها ، فينالون الأعطيات ، ويحظون

---

(١) ياقوت ، معجم الأدباء ، ج ١ / ص ١٢ .

بالرعاية والعنابة والتشجيع، أليس هنا ما يدعو إلى التساؤل؟  
وإلا فما هو سبب الصد القبيح والحرمان المر والمجافاة  
والكراهية التي لقيها الرجل؟

إنه لمن المستحيل أن تصدر هذه المواقف من هؤلاء  
الوزراء اتجاهه إلا لأمر هام.

فالتوحيدى من خلال ما نعته به أقرب أصدقائه وهو أبو  
الوفاء المهندس، شخصية تكاد تكون فريدة من نوعها بما  
تحمله من تناقضات وازدواجية وقلق. وربما كان ذلك يعود  
أيضاً إلى دمامته وجهه، ورثاثة مظهره كما هو معروف عنه،  
وإلى مزاجه السوداوي الذي يذكر بكتاب عباقرة التاريخ  
البائسين، أمثال ابن الرومي، وشارل بودلير، وأبي العلاء  
المعري، وغيرهم، ومن المعروف أن صاحب هذا المزاج  
رئيسي المشاعر يسيء الظن بالناس وبالوجود، وينفر من  
الواقع. إن أبو حيان كان يزهى بمعرفته، ويتقصى الآخرين،  
ويراهم أقل منه شأناً، وهذا ما فعله مع الوزيرين الأديبين ابن  
العميد المعروف بدبي الكفايتين (السيف والقلم)، وابن عباد  
وهذا أساء إليه كثيراً.

فالتوحيدى كما هو واضح لم تكن لديه البقاء والكياسة  
في معاملة الوزراء والتقارب منهم، بل كان جريئاً إلى حدود

الوقاحة، فهو يتصدق في كلامه، ويتطاول في حديثه ويستطرد إلى أمور لاتمت إليه بصلة، وها هو أبو الوفاء المهندس يتهمه بالعوقق ونكران الجميل ومخالطة الأردياء الأشقياء، ويصمه بالجهل والغفلة والضعف وقلة المروءة، حتى انه لم يعد يطمئن إليه أو يثق به كل الثقة. في هذه الصورة تكشف لنا بوضوح معالم نفسية التوحيدى ومزاجه. فيقول: «أفكان من حقي عليك أنك تخلو بالوزير فتحديثه بما تحب وتريد وتكتب إليه ولعلك في عرض ذلك تعدو طورك بالتشدق وتجوز حدك بالاستحقار وتطاول إلى ما ليس لك وتغلط في نفسك وتنسى زلة العالم وسقطة المترحى وخجلة الواثق، هذا وأنت غر لا هيئة له في لقاء الكبراء ومحاورة الوزراء، وهذه حال تحتاج فيها إلى عادة غير عادتك وإلى مران سوى مرانك، ولبسه لا تشبه لبستك... وبعد لعل لهب الموجدة يزداد ولسان الغيط يعلو وطبع الإنسان تحتد. ولست أنت أول من بُرَّ فعَّ ولا أنا أول من جفى فتق، وهذا فراق بيني وبينك إلا أن تطلعني طلع جميع ما تحاورتما ومتى لم تفعل هذا فانتظر عقبى استيحاشي منك وتوقع قلة غفولي عنك. وكأنى بك وقد أصبحت حَرَّان يا أبا حيان تأكل إصبعك أسفًا على ما فاتك من الحوطة لنفسك والنظر في يومك لغدك والأخذ بالوثيقة في أمرك، أتظنن بغرارتكم وغمارتكم وذهابكم في فسولتك التي

اكتسبتها بمخالطة الصوفية والغرباء والمجحدين الأدبياء والأردية، إنك تقدر على مثل هذه الحال، وأنام منك على حسنظن بك وأطمئن إلى حكك وجراحك، هيئات رقدت فحلمت<sup>(١)</sup>.

وذهب ياقوت في معجمه إلى حد القول: أبو حيان التوحيدى سخيف اللسان قليل الرضا عند الإساءة إليه، الدم شأنه والثلب دكانه، محارف يتشكى صرف زمانه ويبكي في تصانيفه على حرمائه.

وله مع الصاحب قصص تصور اعتداده بنفسه وقلة كلفه بالوزراء وذوي الشأن، فهو قد شنع برسائل الصاحب التي كلفه نسخها وقال فيها: هذا طويل ولكن لو أذن لي لخرجت منها فقرأ: كالغرر لا تمل ولا تستغث ولا تعاب ولا تسترث، وهذا يدل على أن أبو حيان قد أدعى لنفسه القدرة على تمييز الغث من السمين في رسائل الصاحب نفسه، وكأنه أعلم منه بذلك وأن الصاحب أقل منه أدباً ومعرفة<sup>(٢)</sup>.

وفي مجلس ابن سعدان لم يكن يتورع من طرح أقذع النواذر وابداء الرأي في حاشية الوزير وأعوانه. هذا قليل من

---

(١) أبو حيان التوحيدى، الامتناع والمؤانسة، ج ١ / ص ٦٧٦.

(٢) أبو حيان التوحيدى، مثالب الوزيرين، ص ٣٣٢.

كثير، مما نجده حول شخصية أبي حيان ونفسيته وسلكه الاجتماعي، فهو تعوزه القدرة على ضبط نفسه، لذلك كان متھوراً سريعاً الغضب عاجزاً عن التمييز بين ما ينبغي أن يقال وما لا ينبغي، مرهف الأعصاب يثور لأدنى الأسباب ويتمرد لأتفه مبرر وكل هذا يفسر لنا فشله في الظفر بمحبة الوزراء وعطفهم ورعايتهم. ويفسر لنا ت Shawem وشكايته وكراهيته للحياة والأحياء<sup>(١)</sup>.

### و - الشكوى في أدبه :

إن أول ما يلوح لنا في معظم ما خط يراعه هو أبو حيان الشاكى الباكى المنسحق تحت وطأة الفقر والحرمان القلق الركائب الذى لا يستقر في مكان إلا ويزعجه أمر إلى ارتياح سواه، متنقلًا بين بغداد والري ونيسابور وواسط وشيراز<sup>(٢)</sup>. فليس بين مفكري العرب ومتكلميهم من هو أحب إلى نفسه من أبي حيان رجل الاستجداء بلا منازع. فقد مل الرجل حياة الشظف منطق الصوفيين الزاهدين المنصرفين عن دنياهم إلى آخرتهم، وعز عليه ألا ينعم نفسه بمغريات الدنيا، لذلك توقع ومد يده بالحاح وإلحاد، وأراق ماء

---

(١) حسن نور الدين، الفردية أو الأنانية في شخصية أبي حيان التوحيدى، مجلة الفكر العربي العدد ٥٤، ص ٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩١.

وجهه في ذل السؤال ومهانة الطلب من أجل بغية رخصصة فانية، ويظهر هذا واضحاً جلياً في شكواه إلى صديقه أبي الوفاء المهندس: (إلى متى الكسيرة اليابسة والبقلة الداوية والقميص المرقع وباقلي درب الحاجب وسداب درب الرواسين).

إلى متى التأدم بالخبز والزيتون، قد والله يُح الحلق وتغير الخلق، الله الله في أمري، اجبرني فإبني مكسور، إسكنني فإبني صدٍ، أغثني فإبني ملهوفأشهرني فإبني غفل حلني فإبني عاطل، قد أذلني السفر من بلد إلى بلد وخذلني الوقوف على باب باب، ونكرني العارف بي وتباعد عنى القريب مني)، ثم يقول له في مكان آخر: (خلصني إليها الرجل من التكفف، انقذني من لبس الفقر، أطلقني من قيد الضر، إشتريني بالإحسان، أنفق جاهك فإنه بحمد الله عريض وإذا جدت بالمال فجد أيضاً بالجاه فإنهما توأمان) (١).

ثم يشتبط به الأمر فيعرض كرامته وأدبه للمهانة والمدح الرخيص:

أنا سامع مطيع وخدم شكور، ومثلي يهفو ويجمع

---

(١) الامتناع والمؤانسة، ج ٢، ص ٢٢٦/٢٢٧.

ومثلك يعفو ويصفح وأنت مولى وأنا عبد، وأنت آمر وأنا  
مؤتمر وأنت مصطنع وأنا صنيعة وأنت منشأ وأنت  
أول وأنا آخر<sup>(١)</sup>.

ويتابع أبو حيان متحدثاً عن نفسه وما يحالجها من أسى  
 ولو عة وما تواجهه من إهمال ونكران:

أيها الكريم ارحم، والله ما يكفيني ما يصل إلي في كل  
شهر من هذا الرزق المفتر الذي يرجع بعد التفتير والتسخير إلى  
أربعين درهماً مع هذه المؤونة الغليظة والسفر الشاق والأبواب  
المحجبة والوجوه المقطبة والأيدي المسمرة والأنفوس الضيقة  
والأخلاق البدنية.

أيها السيد أقصر تأملي ، إرع ذمام الملح بيني وبينك  
وتذكر العهد في صحبتي ، طالب نفسك بما يقطع حاجتي ،  
دعني من التعليل الذي لا مرد له والتسويف الذي لا آخر  
معه<sup>(٢)</sup>.

فأبو الوفاء المهندس سيد التوحيدى وعلة كيانه وصنيعته  
ومنشئه وأمره وإذا سلمنا جدلاً أن أبا حيان كان في غاية الفقر  
والحرمان ، ولكننا لسنا معه في ما أورده من عبارات ولا تدل

---

(١) الإمتاع والمؤانسة، ج ٢ / ص ٢٢٧.

(٢) الإمتاع والمؤانسة، ج ٢ / ص ٢٢٧.

إلا على معانٍ الخسنة والحقارة والجحش والولاء الأعمى والتخاذل والاستعطاف المذل وإذا كان يتحدث عما تعانيه نفسه وعما تواجهه من إجحاف ومماطلة وصدود وفقر مدقع، فهذا لا يقر له أسلوب التخلّي عن المروءة والكرامة، وكان باستطاعته كما يقول زكي مبارك (أن يدوس بقدميه ما يملك أصحاب التيجان ويقبل بنفس حازمة على استدرار إحدى الصناعات، ولكنه أخذ يلوم الناس ويؤاخذهم بما لا يؤاخذ به نفسه ولا يتورع هو عن الوقع فيه)<sup>(١)</sup>، ثم لماذا ظن أن استمراره رهن بمشيئة هذا أو ذاك. ولربما يكون ما أقدم عليه صورة لما كان الناس عليه آنذاك من التكبّر والرياحنة على اعتاب الملوك والسلطانين. وممّا أصبح الأدب رهينة القصور خرج عن دوره وهدفه وغايته ليصبح في خدمة الأطماء.

إن الذي نفهمه أن الأدب يدعو الإنسان إلى احترام ذاته وإكرامها فما بال التوحيد يذل ذاته وبهينها ويسبّحها رغم ما هو عليه من علم وفضل، والذي قال فيه ياقوت انه أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء ولو جئنا لنعتبرها أنها صيحات عاتية في وجه مصاصي دماء الشعب وناهبي ثرواته ومغتصبي مقدراته فهي لا تكون بهذا الأسلوب المبتذل الرخيص.

---

(١) زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع الهجري، ص ١٦٦.

إن أبا حيان لا يكتفي بالاستجداء والشكوى فهو يطلب إلى جانب المال مركزاً عالياً بلغ به الأمر حد التكالب عليهم جميعاً.

فالتوحيدى واحد من هؤلاء الذين اتخذوا الأدب وسيلة للبقاء والربح وخدمة الأطماع والميول. وها هو يعترف اعترافاً صريحاً بأن الفقر يخرج المرء عن دينه ويسلبه مروءته وعزته نفسه حيث يقول: (الفقر ليس لصاحبه عياذ من التقوى ولا عماد من الصبر ولا دعامة من الأنفة واصطبار على المراة، وهو جالب الطمع وكاسب الجشع والضرع وهو الحائل بين المرء ودينه بل هو سد دون مروءته وأدبه وعزته نفسه) <sup>(١)</sup>.  
والتوحيدى هنا يتحدث عن نفسه ويوجد المبررات لشكواه وتذمره واستعطافه المهيمن، ولستنا ندرى إن كان الفقر قد ناله فعلاً إلى هذا الحد، وهو كما نعلم يعيش منفرداً وحيداً لم تكن ترهقه أعباء الأسرة ومشاغلها ومتطلباتها. والحقيقة تُقال إذ كان الفقر برأي أبي حيان يسلب الإنسان مروءته فهو في الحقيقة قبلة الثورة الموقوتة ضد الظالمين والمغتصبين:

---

(١) مثالب الوزيرين، ص ٣١٤، دمشق ١٩٦١م. ذكر يا ابراهيم، أبو حيان التوحيدى، ص ٧٦.

عجبت ممن لا يجد ما يأكله، كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه. بينما نرى أن أبا حيـان قد شـهر بـدل ذلك سلاح التـذمـر والشكـوى والبكـاء والـاستـجـداء.

وها هو يكرر شـكـواه عـلـى مـسـامـع اـبـن سـعـدان وزـير صـممـصـام الدـولـة الـبـويـهي : (وـالـله إـنـي لـوـاد مـخـلـص ، وـعـبد طـائـع ، وـرـجـائـي الـيـوم أـقـوى مـن رـجـائـي أـمـس وـأـمـلي غـدـاً أـبـسط مـن أـمـلي الـيـوم . أـشـكـو إـلـيـك الأـرـق بالـلـيل فـكـراً فـيـما يـقـال وـتـحـفـظـاً مـا يـنـال وـتـوـهـمـاً لـمـا لـا يـكـون . وـأـرـجـو ان شـاء الله أـلـا أـحـرـم هـبـة مـن رـيـحـك وـنـسـيـمـاً مـن سـحـرـك وـخـيـرـة بـنـظـرـك ، وـالـحـمـد للـه الـذـي مـعـاذـي إـلـى الـوزـير الـكـرـيم الـبـرـ الرـحـيم ، وـالـمـنـة للـه الـذـي جـعـلـنـي مـن عـفـاة جـودـه وـمـصـطـلـي نـارـه وـحـامـلـي نـعـمـتـه وـطـالـبـي خـدـمـتـه ، فـقـد نـادـيـت الـوزـير حـيـاً سـامـعاً وـخـيـرـاً جـامـعاً وـهـزـزـت مـنـه صـارـماً قـاطـعاً وـشـهـابـاً سـاطـعاً ، وـاسـتـسـقـيـت مـن كـرـمـه سـحـابـاً هـاطـلاً وـأـسـأـلـه أـن يـجـنـبـنـي مـرـاـة الـخـيـبة وـحـسـرـة الإـخـفـاق وـعـذـاب التـسوـيف )<sup>(١)</sup> . فـهـو يـطـمـئـنـ نـفـسـه حـيـث حـلـت في فـنـاء الـجـود وـمـرـاتـع الـخـصـب وـالـكـرم ، وـيـشـكـرـ رـبـه وـيـحـمـدـه عـلـى النـعـمة الـتـي أـسـبـغـها عـلـيـه إـذ الـجـاهـ إـلـى جـنـاب ذـلـك الـوزـير وـجـعلـه مـن خـدـمـه وـمـسـاعـديـه وـأـعـوانـه وـأـزـلـامـه ثـم لـا يـلـبـثـ أـن يـعـلـو

---

(١) الـامـتـاع وـالـمـؤـانـسـة ، جـ ٢ ، صـ ٢٢٢

صوته فيستصرخ في الوزير الضمير الحي ويسأله ألا يخيب  
آماله بعد أن خيبها غيره، فقد عقده الصدود والتجاهل وخلق  
في كيانه أزمة نفسية حادة ظلت آثارها بارزة حتى نهاية حياته،  
وهو إذا تقرب إلى الوزير فذلك إشاعاً لنفسه المتهالكة على  
المجد والمال، وأملاً في حظوة ينالها ومكانة ترضي طموحه  
وتخليصه من عذاب النفس ومرارة الخيبة والمماطلة. حتى إذا  
تقبل الوزير منه ذلك ووعده خيراً انفرجت أساريره  
وابتسمت آماله، وأخذ يخاطب نفسه طالباً منها أن ترتع هانئة  
في مرابع الفخر والوجود فيقول: (كنت وصلت إلى مجلس  
الوزير وفزت بالشرف منه وخدمت دولته كل ذلك أملاً في  
جدوى أخذها وحظوة أحظى بها وزلفي أ MISS معها ومثاله  
أحسد عليها، فتقبل ذلك كله ووعد عليه خيراً ولم يزل أهله،  
وانقلبت إلى أهلي مسروراً بوجه مسفر ومحيا طلق وطرف  
عازم وأمل قد سد ما بين أفق العراق إلى صنعاء اليمن، حتى  
إذا قلت للنفس هذا معان الوزير ومعمره وجنبه ومحضره  
فانشرحي مستفتحة واطمئني راضية مرضية)<sup>(١)</sup>.

فأبو حيان يبدو معلقاً بين اليأس والرجاء، بين الخيبة  
والأمل، كما تلمع شخصيته من بين السطور قلقة شاكية نادبة

---

(١) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٢٢.

هم الفقر والحرمان حيناً، منشحة حيناً آخر لأنها وصلت إلى المحجة التي كانت تتضررها، إلا أن القدر يأبى أن يكون التوحيد كلاماً يريده هو لنفسه غنياً بالمجد والشهرة والمال، فعندما قتل الوزير ابن سعدان سنة ٣٧٥ هـ واستوزر صمصاص الدولة عبد العزيز بن يوسف أحد الواشين بابن سعدان فـ أبو حيان إلى شيراز متربداً هناك على المتصوفة أهل العزلة والتأمل يعيش معهم في فقر وهمول ذكر وأضحى الناس في تصوره سباعاً ضاربة وكلاباً عاوية وعقارب لساعة وأفاع نهاشة<sup>(١)</sup>. وعزّ عليه ألا يكرم الأدب بشخصه، بينما يرى أصدقاءه وزملاءه يتقدرون من أولي الأمر فينالون الحظوة والمكانة فنقم على الناس والمجتمع وأصبح يعيش في عالم ذاتي خاص وانطوائية مميتة إلى أن بلغ به الأمر حد الكارثة والأزمة النفسية الحادة: (لقد أمسكت غريب الحال غريب اللفظ غريب النحله مستائساً بالوحشة ملازماً للحيرة، محتملاً الأذى يائساً من جميع من ترى، فشمس العمر على شفا وماء الحياة إلى نضوب)<sup>(٢)</sup>. فأقدم على إحراق كتبه أعز ما يملك ونتاج قرن من الزمن وذلك نتيجة لفشل الذريع فيما كان يأمله

(١) الإشارات الإلهية، ص ٨٨ - ذكرياء إبراهيم، ص ٨٢.

(٢) التوحيد، رسالة الصداقه والصديق، القسطنطينية ١٣٠١ هـ، ص ٥٦، ذكرياء إبراهيم، ص ٥٨.

من مجد عريض وهو يصرح بذلك قائلاً: (وما جامع الكتب إلا كجامع الفضة والذهب، وهل المنهوم بها إلا كالحرirsch الجشع عليهم وهل المغفرم بحبها إلا كمماثرهم) <sup>(١)</sup>.

ويتابع الكلام عن أسباب إحراقه كتبه: (ثم اعلم أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته، فأما ما كان سراً فلم أجد له من يتحلى بحقيقة راغباً وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليها طالباً، على أنني جمعت أكثرها للناس لطلب المثالة منهم ولعقد الرئاسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت ذلك كله. كيف أتركها وناسجاورتهم عشرين سنة فما صع لي من أحدهم وداد ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ، وقد اضطررت بينهم بعد الشهرة إلى أكل الخضر في الصحراء وإلى التكفل الفاضح عند الخاصة والعامة، وإلى بيع الدين والمروءة وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم. فها قد أصبحت في عشر التسعين وهل لي بعد الكبرة والعجز أمل في حياة لذيدة) <sup>(٢)</sup> (ولي في إحراق الكتب أسوة بأئمة يقتدي بهم ويؤخذ بهديهم) <sup>(٣)</sup>.

---

(١) ياقوت، معجم الأدباء، ج ١٥ / ص ٢٣.

(٢) المرجع نفسه، ج ١٥ / ص ١٨ و ١٩.

(٣) المرجع نفسه، ج ١٥ / ص ٢١.

إذن فلتنزل النار صواعق عاتية على كل ما صرف في  
سبيله ضوء عينيه وعصارة قلبه وثمرة عمره الطويل.

### ز - الازدواجية في شخصيته :

أشرنا فيما سبق إلى أمثلة من رسائل أبي حيان المشتملة على وصف الذات، ذاته الشاكية من مرارة الفقر وحمله الذكر، المتشائمة من الحياة والاحياء.

وحدث أبا حيان عن نفسه ووجوداته يتوضّح كثيراً عبر فضول مدهشة في كتاب الاشارات الإلهية حيث تلمع من خلالها شخصيته المزدوجة القلقة الهائمة في لجة من المأسى وبحر متلاطم من الحزن العميق، مما يدفعنا إلى السؤال، أين ذاك الرجل الساخط على الفقر والفاقة من هذا الرجل الزاهد العابد القانع الراضي برحمته الله، انظر إليه وهو يخاطب نفسه منهاجاً إياها عن طريق الشر والشكوى: (يا ساعياً في الشر والفساد يجعل لنفسك غاية تقف عندها، يا شاكياً ربه إلى خلقه بقوله: رزقي قليل وحظي نزير وحالتي قاصرة وحاجتي متصلة، لا تفعل واستيقن أنه ناظر لك في حالي يُسرك وعسرك وأنه أعلم بتديرك وأحفظ لمصلحتك).

وإذا كان أبو حيان فيما سبق يلح في السؤال ويسأل

لنفسه الرفعة والمجد والترف فإنه هنا ينسف هذا المفهوم من أساسه ويظهر صراع محتمد بين نفسه ونفسه، نفسه الطماعية الجشعة المتهورة، ونفسه الزاهدة بمتع الدنيا والقانعة بما قسم الله. فاستمع إليه يحذر نفسه من نفسه: (يا هذا أعلى الدنيا تعرج، وفي طلبها تلتجج، لم هذا وكيف به، أين حصافتك وبصيرتك وأين نظرك واختبارك أما ترى وليس فيها مغنى إلا فيه مبكي ولا ملهي إلا وعنده مهوى ولا مرعى إلا ودونه مرثى، أما ترى صروفها وفي صروفها حتفها)<sup>(١)</sup>.

ويتابع التوحيدى حديثه عن نفسه فيوبحها ويتزل عليها سيلًا من غضبه ومقته مما يدل على إحباطه في كل ما يتواهه، فزهده كما هو واضح لم يكن عن قناعة منه بقدر ما كان نتيجة قصر ذات اليد، ولو كانت يده طائلة وأحواله متيسرة لما قصر عن الاستمتاع بمباهج الدنيا والأكل من طيباتها والغرف من مسراتها، ويظهر لنا ذلك الصراع المحتمد في نفسه، والذي يكشف عن ازدواجية في شخصيته، ولعل هذه الازدواجية وهذا القلق المستمر هما اللذان دفعاه إلى إحراق كتبه وقطع كل صلة بينه وبين العالم الخارجي، فاسمعه مخاطبًا نفسه قائلاً: (إن باطنك أخبث من ظاهرك، وظاهرك أعبث من

---

(١) الإشارات الإلهية، ص ٢٨٥.

باطنك، وإشارتك أنك من عبارتك وعبارتك أفسد من إشارتك وكلك مستغيث من بعضك، وببعضك هارب من كلك، وليلك يضج من نهارك، ونهارك يبراً إلى الله من ليلك<sup>(١)</sup>. والمتمعن بهذه العبارات يكتشف مدى إحساس التوحيد بالذنب، واعترافه بالخطيئة وبرمه من كل ما كان يفعله وثورته العنيفة على أبي حيان الراكب وراء المادة والشهوات.

ويبلغ التشاؤم والإحساس بالذنب بأبي حيان أشدّه فينعت نفسه بالضال والشرير والحي الميت والرازح تحت سيل من المخازي والعيوب مما يكشف عما في داخله من ألم مرير وحزن فادح عما في كيانه من تمزق واسوداد أفق فيقول: (إن مُكلمك لشر منك كثيراً وأقدم منك في الضلال بعيداً وما ينطق بما تسمع إلا ليكون ذاك حجة عليه، وبالأَ بين يديه، ولو لا أن ذاك كذلك، لكان له في استماعه من نفسه شاغل عن استماعه لغيره، وهي محنّة كما ترى وبلاء كما تسمع، فهلم فاندبه لأنه إن كان حياً في الظاهر، فإنه ميت في الباطن، وعدد مخازيه فإنها بادية، وقل فيه، فإن فيه متسعًا للمقال). ثم يعني نفسه لنفسه وهو في وضع مأساوي

---

(١) الإشارات الإلهية، ص ٢٠٧.

يثير الشفقة والعطف: (هيئات الرحيل والله قريب والثواب  
قليل والمضجع مُقضى والمقام ممض والطريق مخوف  
والمعين ضعيف والاغترار غالب والله من وراء هذا كله  
طالب) <sup>(١)</sup>.

ولعل أوضح صورة تكشف عن قلق الرجل وتبرز  
التناقض والازدواج في شخصيته وسلوكه ما ناجى به محبوبه  
حيث قال: (يا حبيبي أما ترى ضياعي في تحفظي ، أما ترى  
تفرقني في تجمعي ، أما ترى ضلالتي في أهتدائي ، أما ترى  
رشدي في غيبي ، أما ترى عيبي في بلاغتي ، أما ترى ضعفي  
في قوتي ، أما ترى كموني في ظهوري ، أما ترى دائني في  
دوائي ، أما ترى عليًّا هذا إلى أن يفنى الوردي ، وينفذ البشري  
ويفقد السري) <sup>(٢)</sup>. ويبدو في شخصية التوحيدى مما ورد  
التمزق النفسي والتفكك ، وما هذه التناقضات المتابعة إلا  
صورة عن عمق المأساة التي هبطت في أغوارها السحرية  
نفسه القلقة المعذبة وعلو المكانة التي تمنى التحليق في  
أجواءها هذه النفس الطموحة . وبين حالي اليأس والرجاء  
بين مغريات الدنيا وصورة الآخرة ، ظلت نفسه تتارجح

---

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٨ .

(٢) المصدر نفسه ، ص ١٠٤ .

وتتململ دون أن تنجح في القضاء على داء التناقض الذي  
ظل ينخر في أعماقها، وحين أحس بانقضاض العمر مال إلى  
الزهد نتيجة للضعف والخور (أنا نطقت بهذه الألغاز بعد  
سبعين سنة وقد تحطم قناتي وتفللت صفاتي وفقدت  
شهوتي ولذاتي ومنيت بموت احبيتي ولداتي) <sup>(١)</sup>.

وهكذا ظل أبو حيان يتغنى بنفسه ويبكيها ويندبها عبر  
عشرات السنين، دون أن يظفر بأي من أحلامه وأماله التي  
تكسرت على صخرة شکواه وتذمره وأنينه الموجع حتى مات  
سنة ٤١٤ هـ على حد التقرير.

لقد آلمه الفقر تلك المشكلة المستمرة عبر كل جيل  
وتاريخ، فحاول أن يدفعه عنه بالشكوى والتوجع  
والاستجداه. وهو إن كان يشكو ويلح في السؤال، فما ذلك  
إلا صورة عن مشكلة الطبقية في العالم مشكلة فقراء وأغنياء،  
ميسورين ومحروميين <sup>(١)</sup>.

#### ح - فكره وعقيدته :

يعتبر أبو حيان واحداً من ألمع مفكري العربية  
وأدبائها، فقد أطلق عليه ابن خلkan لقب فيلسوف الأدباء،

---

(١) حسن نور الدين، ص ٩٥.

وأديب الفلاسفة، ذلك أن كتبه تجمع إلى عمق الفكرة أناقة العبارة ورشاقة الأسلوب حتى لقبه بعض المؤرخين بالجاحظ الثاني.

لقد كان أبو حيان خصبة الفكر ثر العطاء متبحراً بعمق في العديد من ألوان المعرفة، ألف أكثر من عشرين كتاباً من عيون الفكر العربي وأدابه، ولكن حين ضاقت به أسباب الرزق، حقد على الناس جميعاً لأنهم جحدوا علمه وأدبه، وتبلور حقده عليهم في إحراق كتبه حتى يحرم الناس الانتفاع بها، ولم يسلم منها إلا ما كان من نسخ في أيدي الناس، وهو يعبر عن ذلك بقوله: «إنني جمعت أكثرها للناس لطلب المثالة منهم، ولعقد الرياسة بينهم، ولمد الجاه عندهم، فحرمت ذلك كلّه... ولقد اضطررت بينهم بعد العشرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة وال العامة، وإلى بيع الدين والمروءة، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم، ويطرح في قلب صاحبه الأليم».

ولقد حير أبو حيان المؤرخين فيما يتعلق بعقيدته، فبينما يخلع ياقوت الحموي عليه لقب المتصوف وفيلسوف الأدباء، يتهمه ابن الجوزي بالزنندة ويُجسم من خطره

فيجعله أخطر الزنادقة جميعاً، حيث يقول: «زنادقة الإسلام ثلاثة: ابن الراوندي، والتوحيدى، والمعرى، وشرهم التوحيدى، لأنهما صرحا ولم يصرح»<sup>(١)</sup>.

ولم يكن حظ التوحيدى بعد وفاته سنة ٤٤٤هـ، على وجه التقريب، بأحسن منه في حياته، فقد كان من شؤمه أنه لم يبق من كتبه التي ألفها وتبلغ نحو العشرين إلا القليل، وهي مملوءة بالتحريف والتصحيف إلى حد يقلل من قيمتها والانتفاع بها، ولعل أقوم كتبه وأنفعها كتابه الامتناع والمؤانسة وهو كتاب ضخم يقع في ثلاثة أجزاء، سوف نستعرضه فيما بعد في حينه نظراً لأهميته من حيث المحتوى والأسلوب فهو خير ما نستشهد به على كلامنا عن الرجل وأهميته في دنيا العلم والأدب.

### ق - أسلوبه :

أما أسلوبه فإنه يتراوح بين الرقة والجفاف تبعاً للموضوع الذي يود معالجته، حيث يبدو رقيقاً منسابةً عند معالجته مواضيع إنسانية، ورصيناً جافاً في المسائل التي يغلب عليها الطابع الفلسفى والمنطقى، وإن كان يسير على

---

١- د. مصطفى الشكعة، مذكرات في المكتبة العربية، بيروت، ١٩٧٢ ص . ١١٧

خطى الجاحظ في الإرسال، والقطعية إلا أنه لم يكن يملك رشاقة الجاحظ وخفة ظله، رغم أن بعضهم أطلق عليه لقب الجاحظ الثاني، إلا أن موضوعاته لم تكن من بنات الحياة التي يهواها الناس، بل كان ذا منهج منطقي، موسوعي، فلسفـي، وهذا ما كان يبعده عن طبقات المجتمع إلا النخبة من المثقفين.

ومهما يكن فأبو حيان التوحيدـي لم يكتب بعده في التـرـ ما هو أسهل وأقوى وأشد تعبيراً عن شخصية صاحبه<sup>(١)</sup>. فقد جمع في أسلوبـه الصورة الحسـية والمعنى العـقـلي العمـيقـ.

---

(١) آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ص ٤٦

## ٣ - كتاب الإمتاع والموانة

### أ - محتواه ومنهجه :

إن تأليف هذا الكتاب من قبل أبي حيان قصة ممتعة، ذلك أن أبو الوفاء المهندس، وهو محمد بن محمد يحيى البُوزجاني، أحد الأئمة المشاهير في علم الهندسة، وله فيه استخراجات غريبة لم يسبق بها، وكان العلامة كمال الدين أبو الفتح موسى بن يونس - وهو القيم بهذا الفن - يبالغ في وصف كتبه، ويعتمد عليها في أكثر مطالعاته ويحتاج بما يقوله، وكان عنده من تأليفه عدة كتب... وكانت ولادته سنة ٣٢٨ بدميّنة بوزجان، وقدم العراق سنة «٤٨٣هـ» وتوفي سنة ٣٧٦هـ». وكان أبو الوفاء هذا من نداماء ابن سعدان كما تقدم، وهو واحد من أفراد منتدى عند الوزير ابن سعدان يجمع كثيراً من جلة العلماء والأدباء منهم ابن زرعة الفيلسوف النصري، وابن مسكويه صاحب (تهذيب الأخلاق) و(تجارب الأمم) وأبو بهرام بن اردشير، ومن الشعراء ابن حجاج الشاعر الماجن المشهور، ومن الكتاب

أبو عبيد الخطيب الكاتب، وأبو حيان صاحبنا، وأبو الوفاء المهندس الذي تتحدث عنه، فقد كان للوزير ابن سعدان مجلس شراب يجلس إليه بعض هؤلاء فيتفاکهون ويتناذرون ويذهبون في فنون الحديث كل مذهب، ومجلس جد يتحاورون فيه ويتناقشون في الفلسفة والأخلاق والأدب.

وكان ابن سعدان يباهي بمجلسه هذا ويفخر به على مجالس النساء المعاصرتين له، مثل المهليبي، وابن العميد، والصاحب بن عباد، فيقول في أصحابه هؤلاء: «ما لهذه الجماعة بالعراق شكل ولا نظير... وأن جميع ندماء المهليبي لا يفون بوحد من هؤلاء، وأن جميع أصحاب ابن العميد يشتهون أقل منْ فيهم، وأن ابن عباد ليس عنده إلا أصحاب الجدل الذين يشغبون ويحمقون ويتصايرون، والمهم في الأمر أن أبا الوفاء هذا كان من ندماء ابن سعدان، وقد وصفه ابن سعدان في جملة ما وصف من أصحابه.

فقال: «وأما أبو الوفاء فهو والله ما يبعد به عن المؤانسة الطيبة والمساعدة المطربة والمفاکهة اللذيدة والمواتاة الشهية، إلا أن لفظه خراساني، وإشارته ناقصة، هذا مع ما استفاده بمقامه الطويل ببغداد، والبغدادي إذا تخرسن كان أعلى وأظرف من الخراساني إذا تبعدد».

كان أبو الوفاء صديقاً لأبي حيان وللوزير أبي عبد الله

العارض المعروف بابن سعدان، فقرب أبو الوفاء أبا حيان من الوزير، ووصله به، ومدحه عنده، حتى جعل الوزير أبا حيان من سُماره، فسامره مدة أربعين ليلة كان يحادثه فيها، ويطرح الوزير عليه أسئلة في مسائل مختلفة فيجيب عنها أبو حيان؛ ثم بعد ذلك طلب أبو الوفاء من أبي حيان أن يقص عليه ما دار بينه وبين الوزير من حديث وذكره بنعمته عليه في وصله بالوزير، مع أنه ليس أهلاً لمصاحبة الوزراء لقبع هيئته، وسوء عادته، وقلة مرانته، وحقارة لبسته، وهدده إن هو لم يفعل أن يغض عنه، ويستوحش منه، ويوقع به عقوبته، وينزل الأذى به، فلم يكن من أبي حيان إلا أن أجاب طلبه - وحسناً فعل - ونزل على حكمه، وفضل أن يدون ذلك في كتاب يشتمل على كل ما دار بينه وبين الوزير من دقيق وجليل وحلو ومرء؛ وهو يقول في ذلك مخاطباً أبا الوفاء: «... هذا وأنا أفعل ما طالبني به من سرد جميع ذلك، إلا أن الخوض فيه على البديهة في هذه الساعة يشق ويصعب ما جرى من التفاوض، فإن أذنت جمعته كله في رسالة تشتمل على الدقيق والجليل والحلو والمر والطري والقاسي، والممحوب والمكروه، فكان من جوابك لي: إفعل. ونعم ما قلت». فكان من ذلك كتاب «الإمتاع والمؤانسة». وعندما أراد أبو حيان أن يُدون لأبي الوفاء ما دار بينه وبين الوزير زاد فيه

ونقح الحديث. وكان يدون جزءاً منه ويرسله إلى أبي الوفاء ويتبعله بجزء آخر وهكذا... . وحدث هو نفسه عن ذلك كله في أول الجزء الثاني فقال: «قد فرغت من الجزء الأول على ما رسمت لي القيام به، وشرفني بالخوض فيه، وسردت في حواشيه أعيان الأحاديث التي خدمت بها مجلس الوزير، ولم آل جهداً في روايتها وتقويمها، ولم أجئ إلى تعمية شيء منها، بل زبرجت كثيراً بناصع اللفظ مع شرح الغامض، وصلة المهدوف، وإتمام المنقوص، وحملته إليك على يد «فائق» الغلام، وأنا حريصٌ على أن أتبعه بالجزء الثاني، وهو يصل إليك في الأسبوع إن شاء الله». وقد أنجز أبو حيان وعده، وأرسل إليه الجزء الثاني على يد غلامه فائق أيضاً. ثم أرسل إليه الجزء الثالث وهو الأخير، وقال في أوله: «قد أرسلت إليك الجزءين الأول والثاني، وهذا الجزء - وهو الثالث قد ألقى فيه كل ما في نفسي من جد وهزل، وغث وسمين، وصاحب ونضير، وفكاهة وأدب، واحتجاج واعتذار... . ولأنه آخر الكتاب ختمته برسالة وصلتها بكلام في خاص أمري». وعلى هذا الوضع ينتهي الكتاب. وقد خاف أبو حيان من بعض ما ورد في الكتاب؛ فإنه في حديثه مع الوزير عاب أشخاصاً من رجالات الدولة الذين يستطيعون إيذائه، فرجا أبا الوفاء أن يحفظ هذا الكتاب سراً، فقال:

«وأنا أسألك ثانية على طريق التوكيد كما سألك على طريق الاقتراح أن تكون هذه الرسالة مصونة عن عيون الحاسدين العيَّابين، بعيدة عن تناول أيدي المفسدين المنافسين، فليس كل قائل يسلم ولا كل سامع ينصف». ولسنا نستبعد أن يكون أبو حيان قد تزيد في الكتاب، واحتصر أشياء لم تجر في مجلس الوزير، ولعل هذا التزيد كان من ضمن الأسباب التي دعته أن يرجو أبا الوفاء في أن يكون الكتاب سراً، فإنه ألف الكتاب في حياة الوزير، وخشي أن يطلع عليه الوزير فيعلم مقدار ما تزيد. أما أنه ألفه في حياة الوزير، فالدليل عليه ما جاء في نسخة ميلانو: «أنشت هذه الرسالة في رجب سنة ٣٧٤هـ) والمعلوم أن الوزير ابن سعدان ظل وزيراً من سنة ٣٧٣ إلى سنة ٣٧٥هـ كما هو معروف.

إن لكتاب الإمتاع والمؤانسة من عنوانه نصيباً كبيراً، فهو يمتع قارئه بما حوى من أدب وعلم، ورؤسه بما ضم من طرف وحوار، وقد صنف الدكتور الشكعة<sup>(١)</sup> الكتاب مع مجموعة الأمالي والمجالس، لأنه تسجيل لأحاديث وأمثالٍ. ومحاضرات ومناقشات ألقيت في أربعين ليلة، ألقاها

---

(١) الدكتور مصطفى الشكعة، استاذ الأدب العربي بجامعة عين شمس وبيروت العربية.

أبو حيأن على مسامع ابن سعدان الوزير في بغداد؛ حيث عالج فيها الكثير من الموضوعات من أخبار أدبية، وشعر، ونشر، ولغة، وفلسفة، ومنطق، وسياسة، وحيوان، وطعام، وشراب، ومجون، وغناء، وموسيقى، وتاريخ، وتحليل لشخصيات العصر من ساسة وعلماء وفلاسفة وأدباء، وتعرض للحياة الاجتماعية المعاصرة له بالدرس والعرض والتحليل، وكانت تجري أثناء هذه الأحاديث مناقشات بين الوزير وأبي حيأن تدل على ما كان لهذا الوزير من مشاركة في مختلف الموضوعات: - فلا عجب - لقد كان ذلك العصر عصر الندوات العلمية الدائمة التي تعقد في قصور الأمراء والوزراء، وكان من أشهر هذه الندوات، ندوة عضد الدولة بن بويع في شيراز، وندوة ابن العميد في الري، وندوة الصاحب بن عباد في أصفهان، وندوة الوزير المهلبي في بغداد، وقد سبقها في بغداد، ندوة ابن سعدان هذا الذي وزر لصمصام الدولة لمدة ثلاثة سنوات على وجه التقريب بين سنة ٣٧٣، ٣٧٥هـ، لما تقلد الأمور بعد وفاة أبيه عضد الدولة. وقد جاء في كتاب «ذيل تجارب الأمم» لأبي شجاع: «وفيها أى في سنة ٣٧٣هـ خُلع على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة - وكان رجلاً باذلاً لعطائه، مانعاً للقائه، فلا يراه أكثر من يقصده إلا ما بين نزوله من

درجة داره إلى زبزبه<sup>(١)</sup>؛ ومع ذلك فلا يخيب طالب إحسان منه في أكثر مطلبه... فبسط يده في الإطلاقات والصلات... وأحدث من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الأولياء والكتاب والحواشي من أموالهم وأرزاهم... وانضاف إلى ضيق خلقه ما اتفق في وقت نظره من غلاء سعر، فتطريرت العامة ورجموا زبزبه، وشغبوا الديلم عليه، وهجموا على نهب داره، وانتهت الحال إلى ركوب صمصام الدولة إلى مجتمعهم حتى تلافقهم وردهم».

وقد ظل ابن سعدان في الوزارة إلى سنة ٣٧٥هـ حتى ظهر له خصم هو أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، فظل يكيد له وينصب الشباك للإيقاع به. وحدث أن ابن سعدان أراد أن يعين أباه كاتباً لوالدة صمصام الدولة لما مات كاتبها، فقال أبو القاسم لصمصام الدولة: «إن ابن سعدان قد استولى على أمورك، وملك عليك خزائنك وأموالك، فإذا تم له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه. وتمت المكيدة ولم يعين أبوه. ثم قُبضَ على ابن سعدان وأصحابه وأودعوا السجن، واستوزر صمصام الدولة هذا الواشي أبا القاسم عبد العزيز بن يوسف، ولم يكتف أبو القاسم بمحبس ابن سعدان فانتهز فرصة خروج ثائر على صمصام

---

(١) الزبزب: ضرب من السفن.

الدولة اسمه «أسفار بن كردويه» يريد خلعه، فدس أبو القاسم إلى صمصاص الدولة أن ابن سعدان متصل بهذا الشائر وأن الذي جرى كان من فعله وتدبيره، وأنه لا يؤمن ما يتجدد منه في محبسه، فأمر صمصاص الدولة بقتله، فقتل سنة ٣٧٥ هـ.

كما كان لابن سعدان ناحية أخرى علمية أدبية يصورها أبو حيان في كتبه، فهو واسع الاطلاع، له مشاركة جيدة في كثير من فروع العلم من أدب وفلسفة وطبيعة وإلهيات وأخلاق، يدل على ذلك حواره الذي يحكى أبو حيان في كتابه الإمتاع والمؤانسة وفي المقابلات، فهو يسأل أسئلة عميقة، وينقد الإجابة عنها نقداً قيماً. وفوق ذلك كان له في وزارته منتدى يجمع كثيراً من جلة العلماء والأدباء. وكان يباهي بمجلسه ويغتر به على مجالس الأمراء المعاصرين له.

وقال القسطي في وصف كتاب الإمتاع والمؤانسة: «وهو كتاب ممتع على الحقيقة لمن له مشاركة في فنون العلم، فإنه خاض كل بحر، وغاص كل لجة، وما أحسن ما رأيته على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع بخط بعض أهل جزيرة صقلية وهو: ابتدأ أبو حيان كتابه صوفياً وتوسّطه محدثاً، وختمه سائلاً ملحفاً»<sup>(١)</sup>.

---

(١) مقدمة الامتاع والمؤانسة، ص «م».

فقد قسم أبو حيان كتابه إلى ليالٍ كما أسلفنا، فكان يدون كل ليلة ما دار فيها بينه وبين الوزير على طريقة قال لي وسألني وقلت له واجبته. وكان الذي يقترح الموضوع دائمًا هو الوزير. وأبو حيان يجيب عما اقترح، وكان الوزير يقترح أولاً موضوعاً حسبما اتفق. ويستظر الإجابة، فإذا أجاب أبو حيان أثارت إجابته أفكاراً ومسائل عند الوزير فيستطرد إليها ويسأله عنها، فقد يسأله سؤالاً يأتي في أثناء الإجابة عنه ذكر لابن عباد أو ابن العميد أو أبي سليمان المنطقي، فيسأله الوزير عنهم وعن رأيه فيهم، وهكذا، يستطرد من باب لباب، حتى إذا انتهى المجلس كان الوزير يسأله غالباً أن يأتيه بطرفة من الطرائف يسميها غالباً: «ملحة الوداع» فيقول الوزير - مثلاً -: إن الليل قد دنا من فجره، هات ملحمة الوداع. وهذه الملحمة تكون - عادة - نادرة لطيفة أو أبياتاً رقيقة، وأحياناً يقترح الوزير أن تكون ملحمة الوداع شعراً بدويأً يشم منه رائحة الشيح والقيصوم وهكذا.

وأحياناً يكلفه الوزير أن يتم له المسألة المعروضة في رسالة؛ فقد سأله مرة عن المصادر التي تجيء على وزن تفعال، فأجابه أبو حيان عن بعضها، ثم طلب منه الوزير أن يجمع له ما جاء في اللغة منها.

وأحياناً يتخذ الكلام شكل حوار. فأبو حيان - مثلاً -

يروي عن ديوجانيس أنه سُئل: متى تطيب الدنيا؟ . فقال: «إذا تفلسف ملوكها، وملك فلاسفتها»؛ فلم يرض الوزير عن هذا، وقال: إن الفلسفة لا تصح إلا لمن رفض الدنيا وفرغ نفسه للدار الآخرة؛ فكيف يكون الملك رافضاً للدنيا وقاليًا<sup>(١)</sup> لها، وهو يحتاج إلى سياسة أهلها، والقيام عليها باجتلاب مصالحها ونفي مفاسدها! - وأطال في ذلك - وفي كثير من الأحيان يعلق الوزير على إجابة أبي حيان بالاستحسان أو الاستهجان مع ذكر أسباب ذلك.

وأحياناً يطلب إليه الوزير أن يحضر له رسالة في موضوع، ثم يتلوها عليه في جلسة مقبلة كما فعل مرة، إذ كلفه أن يكتب له في المجنون والمملح، ففعل أبو حيان وقرأها عليه في مجلس. قال أبو حيان: «فلما قرأتها على الوزير قال: ما علمت أن مثل هذا الحجم يحوي هذه الوصايا والمملح».

وآونة يثير الوزير مسائل أشكلت عليه في اللغة والفلسفة والاجتماع، يعرضها على أبي حيان ويطلب منه الجواب فيفعل.

ويحدث أحياناً أن الوزير يدفع لأبي حيان برقعة فيها

---

١ - قالياً: كارها، مبغضاً.

أسئلة يطلب إليه أن يفكر في الإجابة عنها، ويتصل بغيره من العلماء ليأخذ رأيهم فيها؛ كما حدث مرة أنه دفع إليه رقعة بخطه فيها مطالب، وقال: باحث عنها أبي سليمان وأبا الحير، ومن تعلم أن في محاورتهفائدة. وكان في الرقعة أسئلة منها عن الروح وصفته و漫فعته، وما المانع أن تكون النفس جسماً أو عرضاً أو هباءً؛ وهل تبقى؟ وإن كانت تبقى فهل هي تعلم ما كان الإنسان فيه هبنا الخ. ويقول الوزير في آخر هذه الرقعة: «إن هذا وما أشبهه شاغل لقلبي وجاثم في صدري، ومعترض بين نفسي وفكري، وما أحب أن أبوح به لكل أحد»؛ ويأمره بأن يكتم خطه فإن أراد أن يعرض هذه المسائل مكتوبة على أبي سليمان فلينسخها بخطه هو. ثم سأله أبو حيان أبي سليمان وذكر إجابته عنها ونقلها إلى الوزير، وعلى هذا النمط يجري تأليف الكتاب.

وموضوعات الكتاب متعددة تنوعاً ظريفاً لا تخضع لترتيب ولا تبويب إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث. حتى لنجد في الكتاب مسائل من كل علم وفن؛ من أدب وفلسفة وحيوان ومحاجن وأخلاق وطبيعة وبلاهة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات فلاسفة العصر وأدبائه وعلمائه وتصوير للعادات وأحاديث المجالس، وغير ذلك مما يطول شرحه.

وأياً ما كان، فالكتاب ممتع مؤنس كاسمه، يلقي نوراً كثيراً على العراق في النصف الثاني من القرن الرابع - أعني في العصر البوبي - وهو عصر مغبى بالظلم فإنه يتعرض لكثير من الشؤون الاجتماعية في ثنايا حديثه، فيصف الأماء والوزراء ومجالسهم كابن عباد وابن العميد وابن سعدان ومحاسنهم ومساويهم، ويصف العلماء، ويحلل شخصياتهم، وما كان يدور في مجالسهم من حديث وجداول وخصوصية وشراب، ويصف التزاع بين المناطقة والتحويين كالمناظرة الممتعة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي ومتن بن يونس القبائي في المفاضلة بين المنطق اليوناني وال نحو العربي ، ورأى العلماء في الشعوبية والمفاضلة بين الأمم، إلى كثير من أمثال ذلك.

وفي كتاب الإمتاع والمؤانسة النص الوحيد الذي يكشف لنا عن أسماء جماعة إخوان الصفاء، وقد نقله القبطي منه، إذ كان ابن سعدان قد سأله أبو حيان عن هذه الرسائل ومن ألفها؛ وعن القبطي نقله كل من كتبوا عن إخوان الصفاء.

كما يحتوي الكتاب على فوائد كثيرة عن الحياة السياسية للدولة، فهو يصف كثيراً حالة الشعب في عصره

وموقفهم من الأمراء والملوك، وهي جانهم وأضطرابهم وأسباب ذلك.

وقد يعرض أحياناً للحياة الاجتماعية الشعبية في ذكر عدد القينات في الكرخ فيقول: «ولقد أحصينا في سنة ٤٦٠ هـ جارية من القينات ومائة وعشرين من الحرائر، وخمسة وتسعين من الصبيان الذين يجمعون بين الحذر والحسن. هذا سوى من كنا لا نظرف به ولا نصل إليه لعزته ورقبائه، وسوى ما كنا نسمعه ممن لا يتظاهرون بالغنا وبالضرب إلا إذا نشط أو ثمل في حال أو خلع العذار في هوى».

ثم إن أسلوبه في تقسيمه إلى ليال: وذكره ما دار في كل ليلة على سبيل الحديث والحوار، يجعله لذذاً شيئاً، أو على حد تعبيره هو - ممتعاً مؤنساً. فهو أشبه شيء بآلف ليلة وليلة، ولكنها ليال ليست للهو والطرب وكيد النساء ولعب الغرام، إنما هي ليال للفلاسفة والمفكرين والأدباء، فهو يتعرض فيه لأهم مشاكل الفلسفة، كالبحث في الروح والعقل والقضاء والقدر وما إلى ذلك، كما يتعرض لمشاكل البلوغ كالليلة البديعة التي جرى فيها الحديث عن التشر والنظم والمفاضلة بينهما، فإن كان ألف ليلة وليلة يصور أبدع تصوير الحياة الشعبية في ملاهيها وفتنهما وعشقها، فكتاب

الإمتاع والمؤانسة يصور حياة الأرستقراطيين، ونقصد الذين يجمعون بين الارستقراطية المادية والعقلية؛ كيف يبحثون، وفيما يفكرون، وكلاهما في شكل قصصي مقسم إلى ليالٍ، كما سنلاحظ ذلك من خلال استعراضنا لبعض هذه الليالي، ولكن حظ الخيال في الإمتاع والمؤانسة أقل من حظه في ألف ليلة وليلة.

وأسلوب أبي حيان في الكتاب أسلوب أدبي راقٍ كعهدهنا في كل كتاباته يحب الأزدواج ويطيل في البيان، ويتحدى حذو العاجظ في الإطناب والإطالة في تصوير الفكرة، وتوليد المعاني منها حتى لا يدع لقائل بعده قوله؛ ولكن الذي أغمض أسلوبه في هذا الكتاب تعرّضه كثيراً لمسائل فلسفية عميقة قد عزّت على البيان، ودقت عن الإيضاح، فإذا هو خرج عن هذه الموضوعات الدقيقة إلى موضوعات أدبية: كوصفه لفقره وبؤسه - مثلاً - أو وصفه للكرم وفوائده، أو وصفه للسان والبيان، جرى قلمه وسائل سليمة وأجاد وأبدع.

### ب - نَسْخَ كِتَابِ الْإِمْتَاعِ وَالْمُؤَانَسَةِ :

يقول الأستاذ أحمد أمين في مقدمة الكتاب: «إن للكتاب - فيما أعلم - نسختان، لا أعلم لهما في مكاتب العالم ثالثة. فأما النسخة الأولى فكاملة، وهي تقع في خمسة

أقسام . وقد جاء في طرة الجزء الثاني ما نصه : «رسم لخزانة السلطان الأعظم ، مالك رقاب الأمم مولى ملوك العرب والعجم ، باسط الأمن والأمان ، ناشر العدل والإحسان ، أبي المفاحر فخر الدنيا والدين سليمان بن غازي «محمد الأيوبي» خلد الله تعالى مملكته وسلطانه ، وأعلى في الخاففين عزه وبرهانه ». فالجزء الثاني كما هو ملاحظ كتب للعادل سليمان بن غازي الأيوبي .

وكان العادل سليمان هذا أديباً شاعراً، فقد جاء في (كشف الظنون) ذكر كتاب اسمه «الدر الثمين في شهر ثلاثة السلاطين» وهم: «العادل سليمان الأيوبي وولده الأشرف أحمد وولده الكامل خليل». فسليمان هذا هو صاحب الخزانة المكتوب هذا الجزء برسمهما. كما جاء في آخر هذا الجزء: «تمت الجزء الثاني من كتاب المؤانسة والإمتاع بحول الله وحسن توفيقه في شوال سنة خمسة عشر وثمانمائة على يد أضعف العباد شرف بن أميره في حصن المحروسة حماها الله تعالى عن الآفات والعاهات آمين يا رب العالمين».

وخط الجزء الثاني (وهو في ثلاثة مجلدات) مخالف لخط الجزء الأول (وهو في مجلدين) وإن يكن الخطان قريبي الشبه بعضهما ببعض ، والجزء الأول غير مضبوط ، والثاني

مضبوط بالشكل الكامل. وكلا الجزءين مملوء بالخطاء الخطيرة وبالزيادة والنقص والتحريف، ويظهر أن الكاتبين من الخطاطين الذين يجيدون الخط ولا يحسنون الفهم. وكاتب الجزء الثاني يغلب على الظن أنه تركي لا يحسن العربية فهو يقول: «تمت الكتاب» بدل «تم الكتاب» ويقول: «في سنة خمسة عشر وثمانمائة» بدل «خمس عشرة» وهذه - مع الأسف - هي وحدتها النسخة التامة.

وهذه النسخة أخذها المرحوم أحمد زكي باشا بالفتوغرافيا من مكتبة طوب قبو سراي لما اطلع عليه وعرف قيمته. وقد أحضر النسخة الفتوغرافية معه إلى القاهرة، واحتفظ بها في مكتبه الخاصة؛ وقدقرأ الكتاب، ووضع في الصفحة الأولى من كل جزء فهرساً بعدد الليالي وبعض الموضوعات، كما وضع أسماء الأعلام الواردة في الكتاب أمام كل صفحة، مما يدل على أنه كان يريد نشره، ويريد ترجمة الأعلام التي وردت فيه ولكن لم يتعرض لتصحيح شيء مما فيه من أغلاط وقد توفي - رحمه الله - وهي في مكتبه الخاصة، فاشتراها السيد حمدي السفرجلاني الدمشقي، وباعها لدار الكتب المصرية.

والنسخة الثانية نسخة فتوغرافية أخذت من أصل في

ميلانو، وهي ليست كاملة، وإنما هي قطع ثلاثة: قطعتان من الجزء الثاني وقطعة من الجزء الثالث وهي مشوشهة غير مرتبة، وقد استحضرها زكي باشا أيضاً، واحتفظ بها لنفسه، ثم بيعت لدار الكتب، ولم يُذكر في آية قطعة من القطع تاريخ نسخها، وخطها واضح وجميل أيضاً ومطبوعة. ولكنها في جملتها لا تقل في الأخطاء عن سابقتها. وقد كان في نية السيد حمدي السفرجلاني نشر المخطوطة قبل بيعها لدار الكتب، فاستنسخ نسخة منها، وقرأها مع بعض أفالصل دمشق، منهم الدكتور حسني سبع والسيد رشدي الحكيم وخليل مردم بك؛ واستظهروا بعض تصحيحات لما وجدوه في هذه النسخة من تحريف.

وبقيت بعد ذلك مملوءة بالأغلاط كثيرة الجمل والألفاظ التي تشبه الألغاز حتى لا يخلو سطر منها من وقفات تستدعي الجهد الشديد في تصحيحها. فُعرض على لجنة التأليف نشره، فوافقت على ذلك، وعهدت إلى الأستاذ أحمد أمين والأستاذ أحمد الزين بتصحيحه؛ وقد بذلا معاً جهداً كبيراً في تصحيح المحرف من الفاظه، وتفسير غريبه، وشرح المشكل من عباراته، وتمكيل الناقص من جمله، وضبط الملتبس من كلماته، والتعریف بكثير ممن ورد ذكرهم فيه من العلماء والأدباء والشعراء والفلسفه.

ج - كيف بدا التوحيدى من خلال كتابه :

ابتدأ أبو حيان كتابه صوفياً، وتوسطه محدثاً، وختمه سائلاً ملحفاً، جاء هذا القول على ظهر نسخة من كتاب الإمتاع والمؤانسة بخط أهل جزيرة صقلية.

ونحن بدورنا عندما جئنا نتدارس الكتاب وننظر فيه رأينا أن نقر بصحة وصواب هذا الرأي ، فهذا أبو حيان يستهل كتابه بكلام المتصوف الوعاظ الزاهد حيث يقول : قال أبو حيان التوحيدى : نجا من آفات الدنيا من كان من العارفين ، ووصل إلى خيرات الآخرة من كان من الزاهدين ، وظفر بالفوز والنعيم من قطع طمعه من الخلق أجمعين ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبيه وعلى آلـهـ الطـاهـرـينـ .

... وربما قال بعض المتكلمين قد قال بعض السلف : ليس خيركم من ترك الدنيا للأخرة ، ولا من ترك الآخرة للدنيا ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه وهذا كلام مقبول الظاهر موقف الباطن .

إن أبو حيان المتصوف الزاهد لا يريد أن يجمع بين الدنيا والآخرة وأن يأخذ من هذه وهذه ، فهو لا يرضى بأنصاف الحلول فاما أن ينصرف بكليته إلى الدنيا وإما إلى الآخرة ولا يقبل بغير ذلك ، وبهذا يقول : وربما قال آخر من

المتقددين : (اعمل لآخرتك كأنك تموت غداً، واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً).

وهذه عنده أيضاً كلام منمق، لا يرجع إلى معنى محقق؛ ثم لا يلبي أن يجري مقابلة بينه وبين كلام السيد المسيح قائلاً : (أين هو من قول المسيح - عليه السلام - حين قال : الدنيا والآخرة كالشرق والمغرب متى بعْدَ أحدكم من أحدهما قُرُبَ من الآخر؛ ومتى قَرُبَ من أحدهما بعْدَ من الآخر.

إذاً في نظر أبي حيان المتصرف الزاهد لا يمكن أن تجتمع الدنيا والآخرة فإذا هذه وإنما تلك، فإذا أن تنصرف انصرافاً تماماً إلى الدنيا، وإنما إلى الآخرة ولا شيء غير ذلك يرضيه حيث يقول مكملاً عظته : وأين هو من قول الآخر : الدنيا والآخرة ضربان، متى أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى، ومتى أسخطت إحداهما أرضيت الأخرى.

ويعلل أبو حيان ذلك بقوله : وهذا لأن الإنسان صغير الحجم، ضعيف الحال، لا يستطيع أن يجمع بين شهواته وأخذ حظوظ بدنه وإدراك إرادته، وبين السعي في طلب المترفة عند ربه بأداء فرائضه والقيام بوظائفه، والثبات على حدود أمره ونهيه، فإن صَفْق وجهه وقال : نعمل تارة لهذه

الدار وتارة لتلك الدار، فهذا المذبذب الذي لا هو من هذه ولا من هذه؛ ومن تخنث وتلثث لم يكن رجلاً ولا امرأة، ولا يكون أباً ولا أمّاً؛ وهذا كما نرى.

وأخوف ما يخاف التوحيدى الفقر، فهو الداء الذى ليس له دواء عنده إلا أصحاب الكرم الذين يتسعون في أحوالهم، يوسعون على غيرهم من سعتهم، ولكن هؤلاء الكرام ذهبوا إلى غير رجعة، وبهذا يقول: وترجع فنقول: ونعود بالله من الفقر خاصة إذا لم يكن لصاحبه عياذ من التقوى، ولا عماد من الصبر، ولا دعامة من الأنفة، ولا اصطبgar على المرارة. وقد بُلِّينا بهذا الدهر الحالى من الدينين الذين يُصلحون أنفسهم ويصلحون غيرهم بفضل صلاحهم، الخاوي من الكرام الذين كانوا يتسعون في أحوالهم، ويوسعون على غيرهم من سعتهم.

هؤلاء الذين إذا ولوا عدلوا وإذا ملكوا أفضلوا<sup>(١)</sup> وإذا أعطوا أجزلوا، وإذا سُئلوا أجابوا وإذا أجابوا أطابوا، وإذا عالوا<sup>(٢)</sup> صبروا وإذا نالوا شكروا؛ وإذا انفقوا واسوا، وإذا امتحنوا تأسوا... الدين كانت عادتهم جارية على الضيافة

---

(١) أنعموا.

(٢) افقرروا.

والتكرمة؛ في الأولى والعاقبة؛ وكانوا إذا تلاقوا تواصروا بالخير، وتناهوا عن الشر... فذهب هذا كله، وتأه أهله، وأصبح الدين وقد أخلق لبوسُه، وأجحش مأنوسُه، واقتلع مغروسه وصار المنكرُ معروفاً، والمعروف منكراً، وعاد كل شيء إلى كدره وخاتره وفاسده وضائمه.

بمثل هذا الوعظ ابتدأ أبو حيان المتصوف الزاهد كتابه، حتى إذا ما بلغ وسط الكتاب انصرف إلى الحديث، فإذا هو محدث بارع يستأثر بانتباه الجليس ويستحوذ على فكره وعقله، فاسمعه محدثاً:

... ثم جرى في حديث النفس ذكر بعض العلماء فإنه قال: إن نفسك هي إحدى الأنفس الجزئية من النفس الكلية، لا هي بعينها، ولا منفصلة عنها، كما أن جسدك جزء من جسد العالم لا هو كله ولا منفصل عنه... ولو قال قائل: إن جسدك هو كل العالم لم يكن مبطلاً، لأنَّ شبيه به، ومسلول منه، ويحق الشبه - بين الشيء والذى - يحكى، ويحق الانسال يعتمد منه؛ وكذلك النفس الجزئية هي النفس الكلية، لأنها أيضاً مشابهة لها، ومحومة بها، فبحق الشبه أيضاً تحكي حالها، وبحق الوجود تبقى بقاءها، فليس بين الجسد إذا أضيف إلى العالم، والنفس إذا قيست بالآخر فرق، إلا أن الجسد معجون من الطينة، والنفس

مدبرةٌ بالقدرة الإلهية؛ ولهذا احتاج إلى الإحساس والمواد، وإلى الاقتباس والالتماس حتى تكون مُدّة الحياة الحسية بالغة إلى آخرها من ناحية الجسد، ويكون مبدأ الحياة النفسية موصولاً بالأبد بعد الأبد.

وهو حديث فلسفـي موضوعه النفس والجسد وخصائص كل واحد منها. وينتقل التوحيدـي بعد ذلك إلى الحديث عن الزهاد وأصحاب النسك فيقول:

... وأما حديث الزهاد وأصحاب النسك، فإنه كان

تقدـم بـإفراد جـزءـ فيه، وقد اثـبـتهـ فيـ هـذـاـ المـوـضـوعـ، وـلـمـ أـحـبـ أنـ أـعـزـلـهـ عـنـ جـمـلـتـهـ، فـإـنـ فـيـهـ تـبـيـهـاـ حـسـنـاـ، وـارـشـادـاـ مـقـبـلاـ، وـكـمـ قـصـدـنـاـ بـالـهـزـلـ الـذـيـ أـفـرـدـنـاـ فـيـهـ جـزـءـاـ ـجـمـاماـ لـلـنـفـسـ قـصـدـنـاـ بـهـذـاـ جـزـءـ الـذـيـ عـطـفـنـاهـ عـلـيـهـ إـصـلـاحـاـ لـلـنـفـسـ وـتـهـذـيـبـاـ لـلـخـلـقـ، وـاقـتـداءـ بـمـنـ سـبـقـ إـلـىـ الـخـيـرـ وـاتـبـاعـاـ لـمـنـ قـصـدـ النـصـحـ؛ وـشـرـفـ الـإـنـسـانـ مـوـرـفـ عـلـىـ أـنـ يـكـونـ فـاتـحـاـ لـبـابـ مـنـ أـبـوـابـ الـخـيـرـ عـلـىـ نـفـسـهـ وـعـلـىـ غـيـرـهـ، فـإـنـ لـمـ يـكـنـ ذـلـكـ فـلـاـ أـقـلـ مـنـ أـنـ يـكـونـ مـقـتـفـيـاـ لـأـثـرـ مـنـ كـانـ فـاتـحـاـ قـبـلـهـ، وـمـنـ تـقـاعـسـ عـنـ هـذـيـنـ الـأـمـرـيـنـ فـهـوـ الـخـاسـرـ الـذـيـ جـهـلـ قـيـمـةـ نـفـسـهـ، وـضـلـ عـنـ غـاـيـةـ حـيـاتـهـ، وـحـرـمـ التـوـفـيقـ فـيـ إـصـابـةـ رـشـدـهـ: وـالـلـهـ الـمـسـتـعـانـ.

ويُعرِجُ بـنـاـ التـوـحـيدـيـ بـعـدـ هـذـاـ الـحـدـيـثـ الـأـخـلـاقـيـ إـلـىـ الـكـلـامـ عـنـ أـحـادـيـثـ وـأـقـوـالـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـصـحـابـةـ وـالـحـكـماءـ.

قال ابن مسعود: لو عرفت البهائم ما عرفتم ما أكلتم  
سميناً.

وقال الله عز وجل - لموسى - عليه السلام: حببني إلى  
عبادي . قال : وكيف أحببك؟ قال : ذكرهم آلائي ونعمائي .

وقال بعض الصالحين : مثل الدنيا ونعمتها كخabyة فيها  
سمٌّ وعلى رأسها عسل ، فمن رغب في العسل سُقِيَ من  
السم ، ومثل شِدَّة الدنيا كمثل خabyة مملوءة من العسل وعلى  
رأسها قطراتٌ من سمٍّ ، فمن صبر على أكلها بلغ إلى العسل  
وقال ابن السمّاك الواعظ : يُدرك النّمَام بنيمته ما لا يدرك  
الساحر بسحره .

وقال مالك بن دينار: الجلوس مع الكلب خيرٌ من  
الجلوس مع رفيق سوءٍ .

قال شقيق: اشتريت بطيخة لأمي ، فلما ذاقتها  
سخطت .. فقلت: يا أمي ، على من تردين القضاء ومن  
تلومين ، أحرثها أم مشتريةها أم خالقها؟ فاما حارثها ومشتريةها  
فما لهما ذنب ، فلا أراك تلومين إلا خالقها .

وقال الثوري: نعوذ بالله من فتنة العالم الفاجر، وفتنة  
القائد الجاهل: وقال النبي ﷺ: «سيكون في أمتي علماء  
فساق، وقراء جهال».

ومن بين أحاديثه وقصصه اخترنا هذه القصة القصيرة وهي قصة دينية أخلاقية تحمل معنى الوعظ والإرشاد، والتي مفادها أنه لا ينفع المرء في وقت شدته وضيقه إلا عمله الصالح الذي كان قد عمله في وقت رخائه وفرجه، حيث يظهر من خلالها براعة التوحيد في نسج القصة القصيرة، فيقول:

وقال ابن عمر: كان فيبني إسرائيل ثلاثة خرجوا في وجهِه، فأخذهم المطرُ، فدخلوا كهفاً، فوقع حجر عظيم على باب الكهف، وبيقوا في الظلمة وقالوا:

لا يُنجينا إلا ما عملناه في الرخاء. فقال أحدهم: إنني كنتُ راعياً فأرحتُ وحلبتُ، وكان لي أبوان وأولادٌ وامرأةٌ فسقيتُ أولاً الوالدين ثم الأولاد، فجئتُ يوماً فوجدتُ أبيَّ قد ناما فلم أوقظهما لحرمتِهما ولم أُسقِ الأولاد، وبقيتُ قائماً إلى الصبح؛ فإن كنتَ يا ربَ قبلتْ هذا مني فاجعل لنا فرجاً، فتحرَّك الحَجَرُ ودخل عليهم الضوء.

وقال الثاني: إنني كنتُ صاحبَ ضيَاعٍ، فجاءني رجل بعدما مَتَّ النهارُ، وكان لي أجراء يحصلون الزرع، فاستأجرته، فلما تم عملُهم أعطيتُهم أجورهم، فلما بلغتُ إلى ذلك الرجل أعطيتهُ وافياً كما أعطيتُ غيره، فغضبوا وقالوا: تعطيهِ مثلَ ما أعطيتنا. فأخذتُ تلك الأجرة واشترتُ

بها عجولاً ونمى حتى كثُرَ الْبَقْرُ؛ فجاء صاحب الأجرة يطلب  
فقلتُ: هذه الْبَقْرُ كُلُّها لكَ، فسلَّمْتُها إلَيْهِ، فإنْ كنتَ يا ربَّ  
قبلتَ مني هذا الوفاء ففرَّجْ عنا، فتحرَّكَ الحجَرُ ودخلَ منه  
ضوءٌ كثيرٌ.

وقال الثالث: كانت لي بنتٌ عمٌ فراودتها، فأبَتْ  
حتى أعطيتها مائة دينار فلما اردتُ ما أردتُ اضطربتْ  
وارتعدتْ. فقلت لها: مالك؟ فقالت: إني أخافُ اللهَ.  
فتركتُها ورجعتُ عنها، إلهي فإنْ كنتَ قِيلَتَ ذلكَ مني ففرَّجْ  
عَنَّا. فتحرَّكَ الحجَرُ وسقطَ عن بابِ الْكَهْفِ وخرجوا منه  
يمشونَ.

وهكذا يمضي أبو حيان في كتابه الإمتاع والمؤانسة على  
رسليه صوفياً محدثاً وهو يختتم سائلاً ملحفاً، حيث يقول،  
موجهاً كلامه إلى الشيخ أبي الوفاء المهندس الذي كتب له  
المؤلف هذا الكتاب وختم كتابه به:

أيها الشيخ، سَلَّمْكَ اللَّهُ بِالصُّنْعِ الْجَمِيلِ، وَحَقَّ لَكَ  
وَفِيكَ وَبِكَ غَايَةُ الْمَأْمُولِ... خَلَصْنِي أَيْهَا الرَّجُلُ مِنْ  
الْتَّكَفُّفِ، أَنْقَذْنِي مِنْ لَبْسِ الْفَقْرِ، اطْلَقْنِي مِنْ قَيْدِ الْضَّرِّ،  
أَشْتَرْنِي بِالْإِحْسَانِ، اغْتَدِنِي بِالشُّكْرِ، اسْتَعْمَلْ لِسَانِي بِفَنُونِ  
الْمَدْحُ، إِكْفَنِي مَؤْوِنةُ الْغَدَاءِ وَالْعَشَاءِ. إِلَى مَتِ الْكُسِيرَةُ

اليابسة، والبُقَيْلَةُ الْذَّاولِيَّةُ، والقميصُ المرْقَعُ، وباقلي دَرْبُ  
الحاجب، وسَدَابُ درب الرَّوَاسِينَ؟ إلى متى التادم بالخنزير  
والزيتون؟ قد والله بَعَّ الخلقُ، وتغييرُ الخلقُ؛ الله الله في  
أمرِي؛ اجْبَرْنِي فإنني مكسور، اسقني فإنني ضَدٌ، اغثني  
فإنني ملهوف، شهرني فإني غُفل، حلني فإنني عاطل.

قد أذلَّني السَّفَرُ من بلد إلى بلد، وخذلني الوقوفُ  
على بَابِ بَابٍ، ونَكَرْنِي العارفُ بي، . وتباعدَ عنِي القريبُ  
مني .

أغرَكَ مسکویه حين قال لك: قد لقيت أبا حَيَانَ، وقد  
أخرجته مع صاحب البريد إلى قَرْمِيسِينَ؟!

والله ثم وحياتك التي هي حياتي ، ما انقلبت من ذلك  
بنفقة شهر، والله نَظَرَ لي بالعود، فإن الأراجيف اتصلتْ،  
والأرض اقشعرتْ، والنفوس استوحشتْ، وتشبه كل ثعلبٍ  
بأسد، وقتل كل إنسان لعدوه حبلاً من مسد.

أيها الكريم أرحم؛ والله ما يكفيني ما يصل إلى في كل  
شهر من هذا الرزق المقتَر الذي يَرْجع بعد التفتير والتيسير  
إلى أربعين درهماً مع هذه المؤونة الغليظة، والسَّفِر الشاق،  
والأبواب المحجَّبة، والوجوه المقطبة والأيدي المسمرة،  
والنفوس الضيّقة، والأخلاق الْدَّنِيَّةُ .

أيها السيد، أقصرْ تأملي أرْعَ ذمامَ المِلْحِ ببني  
وبيّنك، وتذكر العهد في صُحبتي، طالب نفسك بما يقطع  
صُحبتي، دعني من التعليل الذي لا مردّ له، والتسويف الذي  
لا آخرَ معه.

ذَكْرُ الْوَزِيرَ أَمْرِي، وَكَرَّ عَلَى اذْنِهِ ذِكْرِي، وَأَفْلَى عَلَيْهِ  
سُورَةً مِنْ شُكْرِي، وَأَبْعَثَهُ عَلَى الإِحْسَانِ إِلَيْهِ.

افتح عليه باباً يُغرِي الراغب في اصطناعِ المعروف لا  
يستغني عن المرغب، والفاعل للخير لا يستوحش من الباعث  
عليه.

أنفق جاهك فإنه بحمد الله عريض، وإذا جدت بالمال  
فجُدْ أَيْضًا بالجاه فإنهما أخوان.

سَرَّحْنِي رَسُولًا إِلَى صَاحِبِ الْبَطَائِحِ أو إِلَى أَبِي السُّؤْلِ  
الْكُرْدِيِّ، أو إِلَى غَيْرِهِ مَنْ هُوَ فِي الْجَبَالِ، هَذَا إِنْ لَمْ تُؤْهِلْنِي  
بِرْسَالَةٍ إِلَى سَعْدِ الْمَعَالِيِّ بِأَطْرَافِ الشَّامِ، وَإِلَى الْبَصَرَةِ، فَإِنِّي  
أَبْلُغُ فِي تَحْمِلِ مَا أَحْمَلُ، وَأَدْاءِ مَا أُؤْدِيُّ، وَتَزْيِيفِ مَا أُرْزِئَنِي،  
حَدَّاً أَمْلَكُ بِهِ الْحَمْدَ، وَأَعْرَفُ فِيهِ بِالنَّصِيحَةِ وَأَسْتَوْفِي فِيهِ  
الْغَايَةَ دَعْ هَذَا، وَدَعْ لِي أَلْفَ دَرْهَمٍ، فَإِنِّي أَتَخْذُ رَأْسَ مَالٍ،  
وَأَشَارِكُ بِقَالِ الْمَحَلَّةِ فِي دربِ الْحَاجِبِ، وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَاهِ

تُقدم إلى كسرى البقال حتى يستعين بي لأبيع الدفاتر. قلتَ:  
الوزير مشغول. فما أصنع به إذا فرغ، فالشاعر يقول:  
«تناط بك الأمال ما اتصل الشغل»

قد والله نسيت صدر هذا البيت، وما بال غيري ينوله  
ويؤله مع شغله وأحرم أنا؟! أنا كما قال الشاعر:

ويسرق أضاء الأرض شرقاً ومغرباً  
وموضع رجلي منه أسود مظلوم  
والله ان الوزير مع أشغاله المتصلة، وأنقاله الباهظة،  
وفكره المفضوض (أي المتفرق غير المجتمع) ورأيه  
المشتراك، لكريمه ماجد، ومفضل محسن، يرعى القليل من  
الحرمة، ويعطي الجزيل من النعمة، ويحافظ على اليسير من  
الذمام، ويقبل مذاهب الكرام، وتلذذ بالثناء إذا سمع،  
وي تعرض للشك من كل منتجع، ويزرع الخير، ويحصد  
الأجر، ويوازن على كسب المجد، ويثابر على احتلال  
الحمد، وينخدع للسائل، ويتهلل في وجه الأمل، ولا يتبوأ  
من الفضائل إلا في ذراها، رحيم بكل غاد ورائح، ولكل  
صالحٍ وطالعٍ.

وأنا الجار القديم، والعبد الشاكر، والصاحب  
المخbor، ولكنك مقبل كالمعرض، ومقدم كالمؤخر، وموقدّ

كالمُحْمَدِ، تُذَنِّيَنِي إِلَى حَظِّي بِشَمَالِكَ، وَتَجْذِبِنِي عَنْ نَيْلِهِ  
بِيمِينِكَ، وَتُغَذِّيَنِي بِوَعِدِ كَالْعَسْلِ، وَتُعَشِّيَنِي بِيَأسِ  
كَالْحَنْظُولِ . . .

نعم؛ عَتَبْتُ فَأَوْجَعْتُ، وَعَرَفْتَ الْبَرَاءَةَ فَهَلَا نَفَعْتَ؟  
وَالله ما أدرِي ما أقول، إِنْ شَكْرُكَ عَلَى ظَاهِرِكَ الصَّحِيفَ  
لَذِعْتُكَ لِبَاطِنِكَ السَّقِيمَ، وَإِنْ حَمِدْتُكَ عَلَى أُولَئِكَ الْجَمِيلِ،  
أَفْسَدْتُ لِآخِرِكَ الَّذِي لَيْسَ بِجَمِيلٍ.

قد أَطَلْتُ، وَلَكِنْ مَا شُفِيتُ، وَنَهَلْتُ وَعَلَلْتُ، وَلَكِنْ مَا  
رَوِيتُ وَآخِرِ ما أقول: افْعُلْ مَا تَرَى، وَاصْنُعْ مَا تَشَتَّخِسْ،  
وَابْلُغْ مَا تَهْوِي، فَلَيْسَ وَاللهِ مِنْكَ بُدْ، وَلَا عَنْكَ غَنِّيٌّ.  
وَالصَّبَرُ عَلَيْكَ أَهُونُ مِنَ الصَّبَرِ عَنْكَ، لَأَنَّ الصَّبَرَ عَنْكَ  
مَقْرُونٌ بِالْيَأسِ، وَالصَّبَرُ عَلَيْكَ رَبِّما يُؤَدِّي إِلَى رَفْعِ هَذَا  
الْوَسَاسِ، وَالسَّلَامُ لِأَهْلِ السَّلَامِ.

بِهَذَا الْكَلَامِ يُنْهِي أَبُو حِيَانَ كِتَابَهُ الْإِمْتَاعَ وَالْمَؤَانَسَةَ وَهُوَ  
كَمَا تَرَى يَظْهَرُ فِيهِ سَائِلًا مَلْحَفًا تَصْدِيقًا لِمَا جَاءَ مِنْ قَوْلٍ عَلَى  
ظَهَرِ نَسْخَةِ مِنْ كِتَابِ الْإِمْتَاعِ وَالْمَؤَانَسَةِ بِخْطِ بَعْضِ أَهْلِ جَزِيرَةِ  
صَقْلِيلَةِ كَمَا ذَكَرْنَا سَابِقًا.

## ٤ - التعريف ببعض كتبه الأخرى

### أ - المقابلات :

وهو عبارة عن مجموعة من الأسئلة وأجوبتها، دارت في مجلس، قُطِّبَها أبو سليمان المنطقى السجستانى ، وهى تتناول موضوعات فلسفية، ودينية، ونفسية، ولغوية، وصوفية، وترسم لفتات، ووثبات، ولكنها لا تدرس موضوعاً دراسة شاملة، أو تحيط بجوانبه، بل هي خطرات، ونقرات.

ولفظ المقابلات جمع مقابلة، والم مقابلة اسم مفعول لفعل قابس الذي تفيد صيغته المشاركة، على نسق المعاورة، والمناظرة، وأصل الفعل الثلاثي قبس، ومعناه أخذ قبساً أي شعلة، ناراً، ومنه القابس طالب النار، يأخذها بطرف عود، والكتاب يستعملون فعل اقتبس العلم، على أن العلم نور يُقتبس، أو لهب يؤخذ<sup>(١)</sup>.

والذى ينظر في عدد المقابلات يجدها أنها لا تتجاوز

---

(١) المقابلات، ص ٢٩.

المائة والست. والمقابسات كتاب يغلب عليه النظر الفلسفى ، على منوال المحاورة بسؤال وجواب منع التأليف حيوية ليست متوافرة في سواه من الكتب التي تكلمت في هذا الموضوع ، وهذا الكتاب يسجل مرحلة النضج ، والاستشراق لدى أبي حيان.

وعند تصفح الكتاب نجد أن أبي حيان قد أطّال في بعض مقابسات كالثانية ، والثانية والستين ، والمقابسة التسعين ، والواحدة والتسعين ، والمقابسة الأخيرة ، كما أنه جعل بعض مقابساته قصيرة لا تتجاوز عدة سطور ، كالمقابسة الواحدة والثمانين ، والخامسة والسبعين ، والحادية والثمانين التي لا تتعدي السطور الخمسة .

وكثيراً ما كان يبدأ المقابسة بقوله : سمعت أبي سليمان ، أو قرأت ، وأملئ على ، وحضرت أبي سليمان يوماً ، وقيل لأبي سليمان ، أو قال أبو سليمان ، وسألت ، وأشياء سمعناها عن... وسأل... وخرج أبو سليمان يوماً إلى الصحراء... ثم يبدأ بتسجيل الأسئلة والأجوبة ، وقد يداخل غير واحد من جلّة علماء ذلك العصر في المحاورات . ويرى الدكتور علي شلق أن تلك المحاورات (تفق وحدتها بكبرياء قبالة محاورات أفلاطون ، وخاصة في المائدة (Banquet) ،

ويرى أن مقابسات أبي حيان أدق فكراً، وأرحب أفقاً) هذا مع اعترافه أن المتقدم له ميزة على المتأخر.

والكتاب يشير بوضوح من وراء سطوره أن أبو حيان اختار ما راق له من الأسئلة والأجوبة، وسكب ذلك في قالبه الخاص، ولربما نسب سؤالاً إلى سواه، وجواباً إلى غيره، بينما يكون هو الذي يسأل والذي يجيب.

ومما لا شك فيه أن أبو حيان قد أجرى تعديلاً، وتقديماً، وتأخيراً، ومحوا، وإثباتاً في مقابساته قبل أن يظهرها للناس، فقال في المقابسة الثانية: «ولم أزل أرقى، وأنفث، وأغزل وأنكث، حتى نظمتُ هذا الذي يمر بك في هذا المكان، على تنافر كبير، وتعانٍ شديد، بين أول وأخر، وصدر وعجز، وسلامة ودخل، وإقباس واقتباس».

وإلى جانب الفلسفة يبدو الوعظ بينما في الكتاب، والفقرة التالية ترسم ذلك: «واعلم أن الغرض كله من هذا الكتاب في جميع ما يثبت عن هؤلاء الشيوخ، إنما هو في إيقاظ النفس وتأييد العقل، وإصلاح السيرة، واعتياض الحسنة ومجانبة السيئة»<sup>(١)</sup>.

وكما يبدو أن التوحيد لم يتورع عن التزييد فيما كتب

---

(١) المقابسات، ص ١٨٠ مقابسة رقم ٤٣.

عن شيوخه، حسب ما رأه، وراق له، فالرجل مفكر كبير، وصاحب ذهن فلسفى، متميز ببرؤية جمالية، وثقافة فنية، فهو أبداً ينشد الجمال، ويتوخى الكمال في الصورة التي انتواها ورسمها فهو يقول في ذلك: «وإن كنت قد استنفذت الطاقة في تنقيتها، وتلوخى الحق فيها، بزيادة يسيرة لا تصح إلا بها، أو نقص خفي لا يبالى به»<sup>(١)</sup>.

فهو متشائم في معظم مراحل كتابه، شأنه في سواه، وإن أقسى صور اليأس لديه تبدو في التعبير التالي: «الإنسان لا يبقى، وإذا لم يبق فأيةفائدة فيما يبقى له؟»<sup>(٢)</sup>.

وإلى جانب ذلك اليأس تبرز السخرية من كل جهد، وتعب، أو أية صلة بالسابق من اللاحق!. وقد يجد حب الحياة في نفسه، أن ينصرف عن التفكير في اللاجدوى، والعفاء، فيلنجاً إلى الصيرورة بالتحول، أو التناصح.

وهكذا سجل لنا أبو حيان مرحلة من مراحله العقلية، وكان عقلانياً في كل ما كتب، فلو أحصينا تكرار لفظ العقل في مقابساته لبان لنا أن الرجل مهووس بالعقل، وهذا الذي حمل بعض الذين كتبوا عنه أن يحشروه في صف المعتزلة،

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣١/٣٢.

(٢) مقابة ٣١، ص ١٥١.

كما حشره البعض الآخر في جماعة اخوان الصفاء، ومن الواضح ان سنه كانت في حدود الخمسين يوم كتب المقايسات، فهو يقول في ذلك: «وماذا يرجو المرء بعد الالتفات إلى خمسين حجة قد أضاع أكثرها، وقصر في باقيها؟».

إن كلمة «الالتفات» تشير إلى أن التوحيد قد تجاوز الخمسين، لأن الملتفت ينظر وراءه، والمستشرف من فوق ينظر أمامه. وأما قوله: «أضاع أكثرها» فهو قول رجل نظر إلى دنياه، نظرة من لا يثق، أو يرجو، وتعبيره: «قصر في باقيها» ينبغيء عن علم عالمٍ وقف على قمة المعرفة وأدرك أنه وهو في ذلك المطل إنما يتخطى على وحدة الواقع بين سود وحدود، وظلمات بعضها، ولهذا عمد إلى إحراق كتبه فخسرت بذلك المكتبة العربية قسماً كبيراً من عطائه الفني الفريد<sup>(١)</sup>.

## ب - موضوعات المقايسات:

في المقدمة بعد البسمة، يتهلل أبو حيّان إلى الله عز وجل، أن يهبه ما يرجوه، ويملاً قلبه بنور العقل، ويذكر ما قدمه مشايخ الفكر في مقاييساته من خير فكري وشعاع عقلي.

---

(١) المقايسات، ص ٣٢/٣٣.

ثم يأخذ منذ المقايسة الأولى برسم الخطوط العقلية للأخلاق بشرائط منطقية، وقوانين نفسية، وفي الثانية يتحدث عن الطب، والنجوم، والنحو والفقه، والشعر والبلاغة، والعلوم، والفلك، والفن، والخلق.

وفي الثالثة يتكلم عن الأخلاق وتهذيبها وتطهيرها، وفي الرابعة يتناول أمر الناموس الإلهي، فالجماليات، فالزمان والمكان، والنقد. وفي الخامسة يبحث بأي معنى يكون زمان أشرف من زمان، ومكان أفضل من مكان، وإنسان أشرف من إنسان، وفي السادسة يحدثنا عن معنى قول بعض الحكماء، وفي السابعة يجري الكلام عن السير وطريقه والبوج به. وفي الثامنة يتكلم عن الموت والحياة. وفي التاسعة يتساءل لماذا كل صاحب علم يرى أن علمه أشرف من علم سواه. وفي العاشرة يركز على العقل، ويشير إشارات صوفية أفلاطونية، ويختتمها بنظرة فلسفية.

ويتكلم في الحادية عشرة عن الحالة ويفلسف، وينهيها بنسق تعبيري أدبي.

وفي الثانية عشرة يتحدث عن الفقه، والتقليد، وفي الثالثة عشرة عن الزمان والدهر، وفي الرابعة عشر يورد ما يتصل بعلم الكلام والفلسفة ويصنع مثل ذلك في الخامسة

عشرة، وفي الثامنة عشرة يتحدث عن العقل والنفس ، وإنهما شيء واحد.

وفي التاسعة عشرة عن أن الفن تقليد، وعن الموسيقى ، وحلوة السجع، ودقة المعنى ، وفي المقايدة العشرين يتكلم عن النفس وكيف أنها تجهل أمرها قبل الموت ، جهلها بعد الموت ، ثم يسترسل في مجال الحكمة ، والذكر ، والحس ، والعقل . وفي الواحد والعشرين يتحدث عن أن فضيحة حبيب لا أدب له ، أشنع من فضيحة أديب لا حسب له . وفي المقايدة الواحدة والثلاثين عن التحول والتنقل (التق谬ص) .

وفي الثالثة والثلاثين عن الحركة والسكون ، وأيهما أقدم؟ وإن العالم دائري ، والحركة الكونية شوق ، وهنا يمزج العلم ، بالصوفية ، بالهندسة ، بالشعر ، وفي الرابعة والثلاثين يتحدث عن ضرب من الفكر الوجودي ، والوجود بالحس والعقل ، وفي الخامسة والثلاثين يسخر ، ويتقدم بكلام بسيكولوجي .

وفي السادسة والثلاثين أفلاطونية ، وإن الله مصدر الفيض ، وفي الثامنة والثلاثين يتكلم عن الخير والشر إذ هما عقليان . وفي الثالثة والأربعين يتكلم عن الطب والتنجيم وأنهما متلازمان ، ويختمها بيان الغرض من المقايدات .

وفي الرابعة والأربعين يتكلم عن الإمكان، وجانب من علم الكلام، ويسترسّل على نسق رائع من التفلسف والجدلية، والفقه، وبذا تكون المقايسة من أروع فلذات الكتاب، ولا تقل المقايسة السادسة والأربعون عنها في العمق الفلسفى والجمالية، ولكنه يقف في جريه موقف تشاؤم، وعبوس.

وفي التاسعة والأربعين كلام على الحركة، وفي الخمسين عن الكهانة، والنبوة، والتنجيم وهي من الأهمية بمكان من ذهنية العالم، وشجاعة الحرّ.

وفي الخامسة والخمسين يتحدث عن البداهة، والرويّة، وفي السادسة والخمسين عن الإضافة، وفي السابعة والخمسين عن الخطوط، وفي الثامنة والخمسين عن العقل، والطبيعة، والموت، وفي التاسعة والخمسين عن الحس، والنفس الغضبية. وفي الستين عن الشر والنظم.

وفي الثانية والستين عن الشمرة والشجرة، والعقل والطبيعة، وأنّ النفس عقل بالاستنارة والعقل نفس بعد الفكر، ويعرف الفلسفة، ويذكر بقوله «فاليري» عن أن النية فعل، والحديث الشريف (إنما الأعمال بالنيات)، وهي مقايسة فاخرة، مزج فيها الأخلاق، بالتربيّة، بالسيكولوجيا،

تعلم الكلام والأفلاطونية، والرؤيا، والصوفية، وأن الإنسان في حد ذاته كون، وعن تفسير القرآن، والاختيار.

وفي الثالثة والستين يتكلم على التوحيد، والظن، والشرع، والترجمة؛ وفي الرابعة والستين على العميان والغيل، وفي الخامسة والستين فكر مقارن، وشعوبية، وبسيكولوجيا، وتفضيل الشرع على النظم.

وفي السادسة والستين على العقل والفضيلة، وسياسة السلطان، والمعرفة بالحدس، وال اختيار، والخرافة.

وفي السابعة والستين عن اللون، والمعرفة بالرائحة، والعلم والفلسفة.

وفي الثامنة والستين عن الحرارة والبرودة، والهيلوي، والصورة، ومنزلة الكواكب من الشمس، وفي التاسعة والستين عن الرُّقي، والنفس التي تضيء الجسد، والفعل غير الفاعل، والطبيعة والنفس، والخير والشر متلازمان، والماء والسكنون.

وفي السبعين يفرق بين المعرفة والعلم، والرطوبة والبؤس، والنفس والطبيعة أو العقل والإرادة، وفي الحادية والسبعين يتكلم عن الضحك، ويذكر بقول الجاحظ في

البخلاء عن الضحك، ومدى برغسون عن الكلام فيه، ويبلغ التوحيدى بعمقه مبلغ برغسون قبل مئات الأعوام.

وفي الثالثة والسبعين إعادة كلام على الدهر، والزمان، والمكان. وفي الرابعة والسبعين عن الوحدة والنقطة. وفي الخامسة والسبعين عن الفعل، والعمل، وفي السادسة والسبعين عن النفس والجسم، وفي السابعة والسبعين عن المحبة والغلبة والاسطقطات، ثم يختتمها باليأس من الصديق والصداقة.

وفي المقابسة الشمانيين فعل وانفعال، وما هو بالقوة، وما هو بالفعل، وفي الحادية والثمانين وهي أقصر المقابسات يتكلم على الخير، وفي الثانية والثمانين عن الواحد العددي، والواحد هو العقل والنفس، والوجود الممحض. -

وفي الرابعة والثمانين عن الخلاء (عدم، وجود)، وفي الخامسة والثمانين عن الكل الكلي، وفي السادسة والثمانين عن الجوهر، وفي السابعة والثمانين عن الموجود، وفي الثامنة والثمانين عن البلاغة، وبلاحة العرب، والبلاغة بشكل عام.

وفي الثامنة والثمانين يتناول الفرح والحزن، وأن الحزن أصل، والفرح طارئ، وهذا الرأي قال به أرثر

شوبنهاور في كتابه: «العالم» كإرادة وفكرة، ويجري شعرًا في سياق المقابلة، والم مقابلة التسعون تتحدث عن الجمال وكماله في الجلال، ووزن النفس، وشؤون الأخلاق، والصوفية، والفضائل.

وفي الحادية والتسعين يذكر سوء حاله عندما كتب المقابلات وفيها يتكلم على حد الكلام والشعر، والغناء، والإيقاع، واللحن، والنغم، والطنين، والجدل، والمحال، والكون، والفساد، والجمع والانفراد، والباطل، والخير، والشر، والذكر، والذهن، والذكاء، والرأي، والشك، والريب، واليقين، والعلم، والتمييز، والعزم، والمعرفة، والجزم، والوهم والتوهם، والتصور، والتفكير، والحفظ، والحس، والإدراك، والإسط PCS، والزمان والمكان، والجرم، والملائقة، والحال، والرطوبة، والبيس، والبرودة، والحرارة، والمؤلف، والرويَّة، والاختيار، والمدخل، والمنطق، والصناعة، والصدق، والنوم، واليقظة، والحياة، والشجاعة، والفرح، والتجول، والسمة، والحسود، والحدق، والغضب، والخرق، والعجب، والرضى، والاستطاعة، والشهوة، والمحبوب، والوقت، والبصر، والحد، والخاصة، والإنسان، والواجب، والممكن، والممتنع، والمطلق، والكيفية، والكمية، والصدق،

والكذب، والحق، والعنصر، والهيولى، والجوهر، والأزلي،  
والقائم بذاته، والعلة الأولى، والسماء، والمحبة، والإرادة،  
واللذة، والفرح، والكل، والحزن.

المقابسة الثانية والتسعون تحدث فيها عن أن الفضيلة  
قليلة، وفي الثالثة والتسعين تكلم عن حدوث العالم، وفي  
الرابعة والتسعين عن النفس والجوهر، وفي الخامسة  
والتسعين عن الحواس والعقول، وفي السادسة والتسعين  
متفرقات.

وفي السابعة والتسعين عن النفس والعقل، وإن للعقل  
ثلاث جهات، والعلم علمان، والهيولى، والذكر، والعقل  
الأول، والعقل النفسي، والرائحة والغذاء، والطبع  
الأربع، ومزاج البدن وتحوله، والنفس وأحوالها، والنار،  
ومكان النفس ووصفها، والنور، والهواء، والكلام البليغ،  
وصعوبة فهم النفس.

وفي المقابسة الثامنة والتسعين يتكلم عن المعد، وفي  
التاسعة والتسعين عن الكون والفساد، وفي المقابسة المائة  
يتكلم على مقدار الإنسان، وفي الواحدة بعد المائة عن  
الحلم، وفي الثانية بعد المائة عن اليقظة والمنام، وفي الثالثة  
بعد المائة عن العلل والحس والعقل، وفي الرابعة بعد المائة

عن المحرك والمسكن ، وفي الخامسة بعد المائة عن النوم .

أما السادسة بعد المائة فيتكلم فيها عن الصديق ، والعشق ، وان القيم لا تعرف ، والمحبة ، والمعرفة ، والعلم ، والتوحيد ، والظاهر ، والباطن ، وشكول العقول ، والهوى ، والحب ، والعشق ، ومقارنة اللغات ، وحقيقة العقل ، والروح ، والرأي ، والسعادة ، والوجود ، والمن ، والوعد ، والوعيد ، والتفلسف ، والعالم والدنيا ، والإنسان ، والشريعة ، والفلسفة ، والموجود ، والحق ، ويختتمها بالصلة والسلام على خير الأنام .

لم يسرف أبو حيان بالتكرار ، والاستطراد كالجاحظ ، ولكن ر بما عاود الكلام على موضوع ما ، ولكن بشكل مختلف عن سابقه ، أو بمعنى يضاف جديد ، تنجلی لنا المقابلات عن مستوى فكري رائع ، وبحث وثاب نادر ، وطريقة منهجية ذات خصوصية<sup>(١)</sup> .

### ج - كتاب الهوامل والشوامل ، أو الشوامل والهوامل :

الهوامل : جمع هامل وهو المناسب على غير هدى أو انضباط طريق ، والشوامل جمع شامل وهو ما أحاط ، فوعى ،

---

(١) المقابلات ، ص ٣٥/٣٨

ويقصد بالتسمية القضايا الفكرية المتوزعة بدون تحديد، وشمولها النفس التي تقلق، وتهجس وتداور.

الكتاب يجري بأسئلة يلقاها أبو حيان على ابن مسكونيه المفكر الأخلاقي الكبير الذي أحله التوحيد في الهوامن والشوامن محل أبي سليمان المنطقي في المقابسات، إلا أن التوحيدي كان يجعل أبا سليمان، ويخشى له، بينما لم ينفع مسكونيه كما يخاطبه، من ذمه أحياناً، شأن الكثرين ممن عايشهم وسلقهم بلسانه العاد.

والكتاب يتناول أموراً نفسية، ووجدانية، وعلمية، ومنطقية، وأخلاقية، ولغوية، وطبية<sup>(١)</sup>.

#### د - كتاب الصداقة والصديق :

عرض قسماً منه على قطب اخوان الصفاء زيد بن رفاعة، فنقله إلى ابن سعدان الوزير، قبل أن يُكلف هذا بالوزارة.

الكتاب ذو موضوع واحد، وليس وثبات، ولفتات كما في المقابسات أو ليالٍ كما في الإمتاع والمؤانسة، ولكنه لم يرسمه أبواباً، وأقساماً منسقة، بل جاء فلذاً فلذاً، وعبارات عبارات<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المقابسات، ص ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣/١٢.

## هـ - كتاب مثالب الوزيرين :

كتاب يدور حول ذمّ ابن العميد، الأديب الكبير الذي مدحه المتنبي ، والمتميّز بالأسلوب الأنيد في النثر الذي يشكل مرحلة من مراحل تطور النثر في الأدب العربي ، وكان يلقب بذى الكفايتين : السيف والقلم ، وابن العميد ، أبو الفضل كان وزير البوهيميين ، وقطب أرجان ، قصده أبو حيّان ، لكنه لم يتtagم معه .

والوزير الثاني هو الصاحب بن عباد ، الوزير الثاني للبوهيميين ، كان تبعاً لابن العميد ، في العلم والسياسة والطريقة ك תלמיד لأستاذة ، وهو يعد من كبار المعتزلة عمل عنده التوحيد نساخاً ، وفلاه ، وابتعد عنه ، وخصص له القسم الأكبر من القدر والذم في هذا الكتاب ، واشتد فيه .  
يسمي ياقوت هذا الكتاب : ثلب الوزيرين ، أو أخلاق الوزيرين <sup>(١)</sup> .

## و - كتاب البصائر والذخائر :

جماع ألوان كثيرة من الأفكار ، والخواطر ، تدور حول التصوف ، واللغة ، والتاريخ ، والشعر ، والفكاهة ، والمجون ، والدعارة ، جاءت متثورة دون وحدة موضوع ، كما في سوابق

---

(١) المصدر نفسه ، ص ١٣ .

كتبه ما عدا «الصداقة والصديق». يقول أبو حيان: إنه أودعه ما سمعه، ورواه على مدّ خمسة عشر عاماً، وهو يبدو كثير الاستطراد في هذا الكتاب تأثراً بالجاحظ، ومدعياً مثله إنما يحاول دفع الملل عن القارئ<sup>(١)</sup>.

### ز - المحاضرات:

أو المحاضرات والمناظرات، أو محاضرات العلماء كتاب أعدّه ونسقه أبو حيان للوزير أبي القاسم المعمر بن الحسين المدلجي ويسميه أبو حيّان الدلجي، على عادته في تحريف بعض الأسماء كمسكويه بدلاً من ابن مسكونيه، وقس على هذا.

والكتاب ليس تماماً، والذي بقي يتناول أخباراً أدبية، ووصفاً لمجالس العلماء تلك التي كثرت في القرن العباسى الرابع الهجري (العاشر ميلادى) والتي بدت مفخرة لحضارة ذلك العصر، وقام أبو حيان بتسجيل ما كان يدور في المجالس من علم وأدب، ومنطق، وفلسفة ومعختلف شؤون المعرفة، شأنه في ذلك كما في سائر كتبه.

### - كتاب تقرير الجاحظ:

كان الجاحظ دائرة معارف عصره، كما يصفه (أحمد

---

(١) المصدر نفسه، ص ١٣.

أمين) وكان إلى جانب هذه المكانة عقلانياً، قال عنه السنديبي تأييداً لسواء إن كتبه تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً، كان الجاحظ معتزلياً صاحب فرقة الجاحظية.

إن إعجاب أبي حيان بالرجل قاده إلى ترسم خطاه في مجمل سيره، وخاصة في إنشائه المناسب، المموسق، ذي الوقع اللطيف. الذي لم يجنب إلى الزخرف، والتصنع، بينما نجد إنشاء أبي حيان على جانب من التصنّع. والكتاب يسوح بإعجاب التوحيدى بالجاحظ، فيشي على كتبه، ويذكرها في معظم مؤلفاته وخاصة في البصائر والذخائر. فهو يقول عنه: «وكتبه هي الدر الشير، واللؤلؤ المطير، وكلامه الخمر الصرف، والسحر الحال»<sup>(١)</sup>.

ويذكر أبو حيان أن ثابت بن قرء، المترجم، المتكلف، الصابئي، قال: «إن الجاحظ من مفاحر الأمة العربية» فزهى التوحيدى بذلك، ونشط عندما استكتبه «ابن سعدان» كتاب الحيوان للجاحظ. وكان التوحيدى يقلد الجاحظ في الاستطراد أحياناً، والتواشب، والإكثار من الدعاء، وربما سمع بموالاة الأسجاع، وهو مثله في مزج الأدب بالفلسفة إلا أن أبا حيان زاد فلسفة في كتبه عن الجاحظ الأديب وكلاهما ممن عنوا بالثقافة الموسوعية.

---

(١) البصائر والذخائر، ص ٥.

## ك - رسالة العلوم :

وهي رسالة دعا فيها إلى تعظيم شأن العلم، الذي شمل الفقه، والسنّة، والأقيسة، وعلم الكلام، والنحو، واللغة، والمنطق، والتنجوم، والحساب، والهندسة، والبلاغة والتصوف.

## ل - الرَّلْفَة :

ما بقي منه يدور حول التصوف، والزهد، وأمور الدنيا الفانية، وأسلوبه يشبه ما كان يدور في المقابلات من حوار، يتناول كلام الشاهدين في مجلس أبي سليمان المنطقي.

## م - الإشارات الإلهية :

وهو جزءان، الجزء الأول مع قسم من الجزء الثاني نشره الدكتور علي شلق في بيروت مع تحقيق وشروح الدكتورة «وداد القاضي» وهو يدور حول الزهد، والتصوف، والابتهاج، والدعوات، وهو يخلو من الشكوى، والحدق، والذم، نسجه مسجوعاً، موقعاً.

يرجع أنه كتبه في آخريات أيامه: حيث يقول:

«أنا نطقت بهذه الألفاظ بعد سبعين سنة، وقد تحطمـت قناتي، وتكمشت شعراـتي، وتفـللت صفاتي، واضـمحـلت

صفاتي ، وبلغت لحمتي وسداتي ، وفقدت شهواتي ولذاتي ،  
ومنيت بموت احبيتي ولداتي ». .

ولعل ذلك بعد موت جاريته بشورة العيارين ببغداد ،  
ونهب منزله<sup>(١)</sup> .

هذا وقد ضاع كثیر من تراث أبي حیان شأن سواه الذين  
نکبوا ، فجاء ما خلّفوه أقل مما أبدعوه ، يزداد على ذلك أن  
الرجل أحرق كتبه في آخریات أيامه ، والذی بین أيدينا مما  
نجا ، وشاع قبل الإحراق يشير إلى فضله وعلمه وسعة ثقافته ،  
وعظمة قلمه .

---

(١) المقابلات ، ص ١٣/١٤ .

## ٥ - بعض النماذج من كتاب الإمتاع والمؤانسة

رأينا أن كتاب الإمتاع والمؤانسة هو عبارة عن مجموعة من الأدبي والمجالس، أقيمت في أربعين ليلة، ألقاها أبو حيان على مسامع الوزير ابن سعدان في بغداد؛ حيث عالج فيها الكثير من الموضوعات من أخبار أدبية وشعر ونشر، ولغة، وفلسفة، ومنطق، وطبيعة، وإلهيات، وتفسير، وحديث، وبلاهة، وسياسة؛ وحيوان، وطعام وشراب، ومجون، وغناء، وموسيقى، وتاريخ، وتحليل لشخصيات العصر، من ساسة وعلماء وفلاسفة وادباء، كما تعرض للحياة الاجتماعية المعاصرة له بالدرس والعرض والتحليل؛ وكان أبو حيان يختتم كل ليلة من ليالي المسامرات بملحة يطلبها منه الوزير ويسميها «ملحة الوداع» وهذه الملحة تكون - عادة - نادرة لطيفة أو أبياتاً رقيقة.

وها هو يحدثنا عن أول ليلة قضاها في مسامرة الوزير قائلاً.

وصلتُ إليها الشِّيخ<sup>(١)</sup> - أطَالَ اللَّهُ حِيَاةَكَ - أَوْلَ لَيْلَةَ إِلَى  
 مجلسِ الوزير - اعْزَ اللَّهُ نَصْرَهُ، وَشَدَّ بِالْعَصْمَةِ وَالتَّوْفِيقِ أَزْرَهُ -  
 فأمرني بالجلوس، وبسط لي وجهه الذي ما آعتبراه منذ خُلُقَ  
 العُبُوس؛ ولَطَّفَ كلامَه الذي ما تَبَدَّلَ مِنْذَ كَانَ لَا فِي الْهَزَلِ  
 وَلَا فِي الْجِدْدِ، وَلَا فِي الغَضَبِ وَلَا فِي الرَّضَا. ثُمَّ قَالَ بِلِسَانِهِ  
 الذَّلِيق<sup>(٢)</sup> وَلِفَظِهِ الْأَنِيقِ: قَدْ سَأَلْتُ عَنْكَ مَرَأَةٌ شَيْخَنَا أَبا  
 الوفاءِ، فَذَكَرَ أَنَّكَ مَرَاعٍ لِأَمْرِ الْبَيْمَارِسْتَانِ مِنْ جَهَتِهِ، وَأَنَا أَرْبَأُ  
 بِكَ عَنْ ذَلِكَ، وَلَعْلِي أَعْرِضُكَ لِشِيءٍ أَنْبَأَهُ مِنْ هَذَا وَأَجْدِي،  
 وَلَذِكَ فَقَدْ تَاقْتُ نَفْسِي إِلَى حُضُورِكَ لِلْمَحَادِثَةِ وَالْتَّائِيسِ،  
 وَلَا تَعْرَفَ مِنْكَ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ مُخْتَلِفةٌ تَرَدَّدَ فِي نَفْسِي عَلَى مَرَّ  
 الزَّمَانِ، لَا أَحْصِيَهَا لَكَ فِي هَذَا الْوَقْتِ، لَكِنِي أَنْثَرَهَا فِي  
 المَجْلِسِ بَعْدَ المَجْلِسِ عَلَى قَدْرِ مَا يَسْنَحُ وَيَعْرِضُ، فَأَجْبَنِي  
 عَنْ ذَلِكَ كُلَّهُ بِاسْتِرْسَالِ وَسَكُونِ بَالٍ؛ بِمَلِءِ فِيكَ، وَجَمِّ  
 خَاطِرِكَ، وَحَاضِرِ عِلْمِكَ؛ وَدَعْ عَنْكَ تَفْنِنَ الْبَغْدَادِيَّينَ<sup>(٣)</sup> مَعَ  
 عَفْوِ لِفَظِكَ، وَزَائِدِ رَأِيكَ، وَرِيْجِ<sup>(٤)</sup> ذِهْنِكَ؛ وَلَا تَجْبِنْ جُبْنَ

(١) يقصد أبا الوفاء المهندس.

(٢) اللسان الذليق: الحاد البلغ.

(٣) يريد بذلك استطرادهم في الكلام وخروجهم فيه من فن إلى فن.

(٤) أي فضلته.

**الضُّعفاء**، ولا تتأطِّرَ<sup>(١)</sup> تأطِّرَ الأغبياء؛ وأجزم إذا قلت، وبالغ إذا وصفت؛ وأصدق إذا أستدلت، وافقـل إذا حكمـتـ، إلا إذا عَرَضـ لكـ ما يوجـبـ توـقـفـاًـ أوـ تهـادـيـاً<sup>(٢)</sup>.

وبعد أن يتم التعارف بين الوزير وأبي حيان حيث يأذن الوزير له بمخاطبته بكـافـ المـخـاطـبـةـ، وـتـاءـ الـمـواـجـهـةـ، فـائـلاـ لـهـ إنـ اللهـ تـعـالـىـ - عـلـىـ عـلـوـ شـائـهـ، وـبـسـطـةـ مـلـكـهـ، وـقـدـرـتـهـ عـلـىـ جـمـيعـ خـلـقـهـ - يـوـاجـهـ بـالـتـاءـ وـالـكـافـ؛ فـكـيـفـ بـالـأـحـرـىـ بـهـ فـيـشـنيـ أبوـ حـيـانـ عـلـيـهـ لـتـوـاضـعـهـ مـعـ نـبـاهـةـ شـائـهـ وـعـلـوـ هـمـتـهـ؛ وـهـوـ يـرـىـ أنـ التـوـاضـعـ سـجـيـةـ أـهـلـ الـبـصـيرـةـ فـيـ الدـنـيـاـ وـالـدـينـ. وـيـقـدـمـ بـعـضـ الـأـمـثـلـةـ عـنـ تـوـاضـعـ الـأـنـبـيـاءـ وـالـخـلـفـاءـ وـالـعـظـمـاءـ. وـيـنـتـقـلـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ فـضـلـ الـحـدـيـثـ الـذـيـ يـصـقـلـ النـفـوسـ وـيـجـلوـ الصـدـأـ عـنـهـ، وـيـعـيـدـهـ قـابـلـةـ لـوـدـائـعـ الـخـيـرـ. كـمـاـ يـقـومـ بـشـرحـ بـعـضـ الـكـلـمـاتـ وـالـفـرـقـ بـيـنـ مـعـانـيـهـاـ كـالـزـمـانـ وـالـدـهـرـ؛ حـيـثـ يـقـولـ: وـمـثـالـ مـاـ يـقـوـمـ بـالـزـمـانـ الـذـهـبـ وـالـبـياـقـوتـ وـمـاـ شـابـهـهـماـ مـنـ الـجـوـاهـرـ الـتـيـ بـعـدـ الـعـهـدـ بـمـبـادـئـهـ، وـسـيـمـتـدـ الـعـهـدـ جـداـ إـلـىـ نـهـيـاـتـهـ؛ وـأـمـاـ مـاـ قـدـمـ بـالـدـهـرـ، فـكـالـعـقـلـ وـالـنـفـسـ وـالـطـبـيـعـةـ؛ وـيـنـتـقـلـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـىـ نـعـتـ الـعـتـيقـ وـالـخـلـقـ، حـيـثـ يـقـولـ: إـنـ

---

(١) التأطـرـ: التـحـبسـ وـالـتـثـنيـ، شـبـهـ بـهـ وـقـوفـ الغـبـيـ وـتـرـدـدـهـ فـيـ جـوابـ ماـ يـسـأـلـ عنهـ.

(٢) التـهـادـيـ: المـشـيـ الرـفـيقـ فـيـ تـعـاـيلـ.

العتيق يقال على وجهين: فاحدُهما يُشار به إلى الكرم والحسن والعظمة، وهذا موجود في قول العرب: «البيت العتيق»؛ والأخر يشار به إلى قدمٍ من الزمان مجهول. فاما قولهم: «عبد عتيق» فهو داخل في المعنى الأول، لأنَّه أكرم بالعتق، وأرتفع عن العبودية، فهو كريم. وكذلك «وجه عتيق» لأنَّه أعتقد الطبيعة من الدمامنة والقبع. وكذلك «فرس عتيق».

وأما قولهم: «هذا شيء خلق» فهو مضمون معنيين: احدُهما يشار به إلى أن مادته بالية؛ والأخر أن نهاية زمانه قريبة... «العالَمُ عتيق ولكن ليس بقديم» أي لو كان قدِيماً لكان لا أول له، ولما كان عتيقاً كان له أول، ومن أجل هذا الاعتقاد وصفوا الله تعالى بأنه قديم.

وهكذا تمضي المسامرة بين الرجلين في هذه الليلة عن الحديث والمحادثة وفضلهما بين الإخوان في الليالي الزهر، إلى أن يصل - كعادته في آخر كل ليلة - إلى ملحمة الوداع حيث يقول له الوزير: هات ملحمة الوداع حتى نفترق عنها، ثم نأخذ ليلة أخرى في شجون الحديث. فيروي له أبو حيان هذه الملحمة قائلاً: حدثنا ابن سيف الكاتب الرواية، قال: رأيت جحظة<sup>(1)</sup> قد دعا بناءً ليبني له حائطاً، فحضر،

---

(1) وهو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك الشاعر =

فلما أُمْسِي اقتضى البناء الأجرة، فتماكسا<sup>(١)</sup>، وذلك أن الرجل طلب عشرين درهماً؛ فقال جحظة: إنما عملت يا هذا نصف يوم وتطلب عشرين درهماً؟ قال: أنت لا تدربي، إني قد بنيت لك حائطاً يبقى مائة سنة؛ فبينما هما كذلك وجَبَ الحائطُ وسقط؛ فقال جحظة: هذا عملك الحَسَن؟ قال: فأردت أن يبقى ألف سنة؟ قال: لا، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك.

وفي الليلة الثانية، يسأله الوزير فيها عن أصحابه وعن درجة كل منهم في العلم والحكمة، مثل ابن زرعة<sup>(٢)</sup> وابن الخمار<sup>(٣)</sup> وابن السمع<sup>(٤)</sup>

---

= المعروف، كان من ظرفاء عصره وكان صاحب فنون ونوادر، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين من الهجرة، وتوفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بواسطه، ودفن ببغداد.

(١) أي تشاها في الإجرة؛ ماكسه في البيع ونحوه: إذا شاحه فيه واستحظه الثمن واستتفصه إياه.

(٢) ابن زرعة، هو أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرعة عالم نصراني من علماء بغداد برع في المنطق والفلسفة، ونقل عدة مصنفات إلى العربية، وتوفي كما روى القبطي سنة ٣٩٨.

(٣) ابن الخمار، هو أبو الحير الحسن بن سوار، كان كذلك نصرانياً طبيباً فيلسوفاً نقل كتاباً كثيرة من السريانية إلى العربية.

(٤) ابن السمع، هو أبو علي بن السمع من مناطقة بغداد؛ مات سنة ٤١٨ هـ.

والقومي<sup>(١)</sup> ومسكويه<sup>(٢)</sup> ونظيف<sup>(٣)</sup> ويحيى بن عدي<sup>(٤)</sup>  
وعيسى بن علي<sup>(٥)</sup>.

فيصف أبو حيان له كل واحد منهم، حتى يشرف الليل  
على الانتهاء، فيقول الوزير: هذا في الحُسن نهاية، وقد  
اكتهل الليل، وهذا يحتاج إلى بدء زمان، وتفریغ قلب،  
وإاصناعه جديد. هات خاتمة المجلس. فيجيبه أبو حيان  
 قائلاً: قرأنا يوم الجمعة على أبي عبد الله المرزباني  
عبد الله بن مُضَعْبَ:

---

(١) القومي، هو أبو بكر القومي المفلسف. قال عنه أبو حيان: إنه كتب  
لنصر الدولة عامين.

(٢) مسكويه، هو أبو علي أحمد بن محمد مسكويه الخازن، كان عارفاً بالفلسفة،  
ألف كتاب تهذيب الأخلاق وتجارب الأمم، وكان قياماً على خزانة كتب ابن  
العميد ثم قياماً على خزانة كتب عصد الدولة ثم اختص بيها الدولة  
الجوبي وعظم عنده شأنه ومات سنة ٤٢١ هـ.

(٣) نظيف، هو القس نظيف النفس الرومي، كان عالماً جيد النقل من اليوناني  
إلى العربي وكان من أفضلي الأطباء، وعيته عصد الدولة في البهاراتان  
الذي أنشأ بغداد.

(٤) يحيى بن عدي أبو زكريا، كان نصراياً منطقياً، أخذ الفلسفة عن أبي نصر  
الفارابي، وبشر بن متى؛ وله مؤلفات كثيرة، مات سنة ٣٦٤ هـ.

(٥) عيسى بن علي، هو أبو القاسم عيسى بن الوزير الكبير علي بن عيسى  
الجراح، كان عيسى عالماً فاضلاً،قرأ المنطق على يحيى بن عدي، كما درس  
الفقه والأدب على علماء عصره، وعمل في ديوان الرسائل؛ ومات ببغداد  
سنة ٣٩١. وقد نقل عنه أبو حيان كثيراً من أقواله في الحكمة في كتابه  
المقابسات.

إذا استمتعتْ منك بلحظ طرفي  
 حَي نصفي ومات عليك نصفي  
 تلذُّ مقلتي ويذوب جسمي  
 وعَيشي مِنْكَ مقرونٌ بحتفي  
 فلو ابصرتني والليل داجٍ  
 وخدي قد تَوَسَّطَ بطن كفي  
 ودمعي يستهلَّ من المآقى  
 إذا لرأيتَ ما بي فوق وصفي

وفي الليلة الثالثة، يطلب إليه الوزير أن يحدّثه حديث  
 الخراساني، قائلاً: حدثني أبو الوفاء عنك حديث  
 الخراساني، فأريد أن اسمعه منك. فقلتُ، كنتُ قائماً عشيّة  
 على زِبْرِيَة<sup>(١)</sup> الجسر في الجانب الشرقي وال الحاج يدخلون،  
 وجمالُهم قد سدت عرض الجسر - انتظر جوازها وخفّة  
 الطريق منها، فرأيت شيخاً من أهل خراسان ذكر لي أنه من  
 أهل سنجان<sup>(٢)</sup> واقفاً خلف الجمال يسوقها، ويحفظ الرحال  
 التي عليها، حتى نظر إلى الجانب الغربي فرأى الجذع عليه  
 ابنَ بقية - وكان وزيراً صليبه الملك لذنوب كانت له - فقال:

(١) في الأصل زبيرة والزنبرitan هما السفيتان اللتان في الجسر في الجانب  
 الشرقي من بغداد يعبر عليهما السالكون.  
 (٢) قرية بمن.

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مَا أَعْجَبَ أُمُورَ الدُّنْيَا وَمَا أَقْلَى الْمُفْكِرُ فِي عِبَرِهَا  
وَغَيْرِهَا، عَضْدُ الدُّولَةِ تَحْتُ الْأَرْضِ وَعَدُوُهُ فَوْقُ الْأَرْضِ!

قال الوزير: هكذا حدثني أبي الوفاء، ولذلك استأذنت  
في دفنه، وكان كلام هذا الشيخ سبباً في ذلك.

ثم يسأله الوزير عن عدد من الرجال فيجيئه عنهم.  
وتنتهي هذه الليلة أيضاً بأبيات من الشعر.

وفي الليلة الرابعة، يسأله الوزير قائلاً: كيف رضاك  
عن أبي الوفاء؟ فيمدحه أبو حيان ويثنى عليه، ثم يعود الوزير  
فيسأله عن نصر غلام خواشاده<sup>(١)</sup> وعن ابن عباد وأخلاقه  
ومذهبة وعادته وعن علمه وبلغته، ثم عن بلاغته من بلاغة  
ابن العميد، وعن طريقة ابن يوسف والصابي.  
حيث ينال أبو حيان من مروءة الرجلين ومن علمهما  
وأخلاقيهما وفضلهما. وتنتهي هذه الليلة دون ملحمة الوداع  
كما عودنا أبو حيان في لياليه الماضية.

وتمضي الليلة الخامسة على نسق الليلة السابقة وهي  
تتمة لما كان قد بدأ به في الليلة السالفة.

---

(١) هو أبو نصر خواشاده كان فارسياً من كبار رجال شرف الدولة البوهيمي وكان  
سفيراً في الانفاق وعقد الصلح بين شرف الدولة وصمصام الدولة.

وفي الليلة السادسة يسأل الوزيرُ أبا حيَانَ قائلاً: أتفضّلُ  
العرب على العجم أم العجم على العرب؟

فيجيب: الأمم عند العلماء أربع: الروم، والعرب، وفارس، والهند، وثلاث من هؤلاء عجم، وصعب ان يقال: العرب وحدها أفضليّة من هؤلاء الثلاثة، مع جوامع ما لها، وتقاربٍ ما عندها. قال الوزير: إنما أريد بهذا الفرس. فقال أبو حيَان: قبل أن احكم بشيء من تلقاء نفسي، أروي كلاماً لابن المقفع، وهو أصيل في الفرس عريق في العجم، مفضل بين أهل الفضل... حيث طرح علينا السؤال التالي: أيّ الامم أعقل؟ فظننا أنه يريد الفرس، فقلنا: فارسُ أعقل الأمم، نقصد مقاربته، ونتوخي مصانعته. فقال: كلا، ليس ذلك لها ولا فيها، . . فقلنا الروم. فقال: ليس ذلك عندهم، بل لهم أبدانٌ وثيقة وهم أصحاب بناء وهندسة، لا يعرفون سواهما، ولا يحسنون غيرهما.

قلنا: فالصين. قال: أصحاب اثاث وصنعة، لا فكر لها ولا رؤية. قلنا: فالترك. قال: سباع للهراش. قلنا: فالهند. قال: أصحاب وهم ومخرقة وشعبنة وحيلة. قلنا فالزنج. قال: بهائم هاملة. فرددنا الأمر إليه. قال العرب. فتلاحظنا وهمس ببعضنا إلى بعض، فغاظه ذلك منا، وامتنع

لونه، ثم قال: كأنكم تظنون في مقاربتكم، فوالله لوددت أن الامر ليس لكم ولا فيكم ولكن كرهت إن فاتني الامر ان يفوتنى الصواب ولكن لا ادعكم حتى ابين لكم لم قلت ذلك... وبعد ما فضل ابن المقفع العرب على ما سواهم من الأمم. يعقب أبو حيان على ذلك قائلاً: ... فلكل أمة فضائل ورذائل، ولكل قوم محسنٌ وممساوٍ، ولكل طائفٌ من الناس في صناعتها وحلّها وعقدها كمال وتفصير، وهذا يقضي بأنَّ الخيرات والفضائل والشروع والنفائض مفاضة على جميع الخلق، مفوضة بين كلِّهم.

وهو يعجب كثيراً من له فضل واسع، وعلم جامع؛  
وعقل سديد، وادب كثير، مثل الجيهاني<sup>(١)</sup> في كتابه وهو يسبُّ العرب، ويتناول اعراضها ويحط من أقدارها، ويرد عليه قوله... كما تنتهي هذه الليلة من دون ملحمة الوداع.

---

(١) الجيهاني: نسبة إلى جيهران مدينة بخراسان. وقد شهر بهذه السببة اثنان: أحدهما أبو عبد الله أحمد بن نصر وزير السامانية ببخارى، كان أدبياً فاضلاً له من الكتب كتاب آلين نامه وكتب أخرى؛ وجيهاني آخر اسمه محمد بن أحد كان كذلك وزيراً للسامانيين؛ كان أدبياً فاضلاً شهماً جسورةً، كان من رؤساء المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويقطنون الزندقة، ويصنفون في نصرة الأثنية. والظاهر أنه هو المراد هنا.

وفي الليلة السابعة يجري بها أبو حيان مقارنة بين كتابة الحساب وكتابة البلاغة والانشاء والتحرير وأيهما أفع وأفضل وأعلق بالملك والسلطان إليه أحوج. فقد رأى ابن عبيد ان كتابة الحساب جد، بينما الأخرى هزل، ففرد عليه أبو حيان ويدحض آراءه.

وفي الليلة الثامنة يتحدث أبو حيان فيها عن الفلسفة وكل من المنطق والهندسة، فقد رأى وهب بن يعيش الرقي اليهودي<sup>(١)</sup> أن الطريق في إدراك الفلسفة وذلك سلوكه مختصرة فسيحة، ليس على سالكها كد ولا شق في بلوغ ما يريد من الحكمة ونيل ما يتطلب من السعادة وتحصيل الفوز في العاقبة؛ بينما أصحابه من المناطقة والمهندسين قد طولوا وهو لوا وطروا الشوك في الطريق ومنعوا من الجواز عليه غثاً منهم وبخلاً ولؤم طباع وقلة نصح وإتعاباً للطالب وحسداً للراغب، وذلك لأنهم اتخذوا المنطق والهندسة وما دخل فيهما معيشةً ومكسبة، ومائكة ومشربة، فصار ذلك كسرٍ من حديد لطلاب الحكمة والمحبين للحقيقة. ومن الموضوعات الفريدة التي جاءت في هذه الليلة المناظرة القيمة والفريدة الممتعة التي جرت بين أبي سعيد السيرافي<sup>(٢)</sup> وأبي سليمان

(١) ورد هذا الاسم في المقابلات؛ وكان أبو حيان يسأله في مسائل فلسفية.

(٢) وهو استاذ أبي حيان.

متى بن يونس المنطقي في المفاضلة بين المنطق اليوناني والنحو العربي . . . حيث واجه أبو سعيد متى فقال: حدثني عن المنطق ما تعني به؟ فإنما إذا فهمنا مرادك فيه كان كلامنا معك في قبول صوابه ورد خطئه على سنِّ مرضيٍّ وطريقة معروفة. قال متى: أعني به (أي المنطق) أنه آلة من آلات الكلام يُعرف بها صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه، كالميزان، فإني أعرف به الرُّجحان من النقصان، والسائل<sup>(١)</sup> من الجانع<sup>(٢)</sup>.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يُعرف بالنظم المأثور والاعراب المعروف إذا كنا نتكلم بالعربية؛ وفاسد المعنى من صالحه يُعرف بالعقل إذا كنا نبحث بالعقل؛ وهبْكَ عرفت الرجح من الناقص من طريق الوزن، فمن لك بمعرفة الموزون أيّما هو حديد أو ذهب أو شبة<sup>(٣)</sup> أو رصاص؟ فأراكَ بعد معرفة الوزن فقيراً إلى معرفة جوهر الموزون وإلى معرفة قيمته وسائر صفاته التي يطول عدُّها؛ فعلى هذا لم ينفعك الوزن الذي كان عليه اعتمادك،

(١) المرتفع.

(٢) المائل.

(٣) النحاس الأصفر.

وفي تحقيقه كان اجتهاًدك، إلّا نفعاً يسيراً من وجه واحد،  
ويقيتُ عليك وجوه، فأنت كما قال الأول:  
حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء . . .

ومع هذا، فحدثني عن الواو ما حكمه؟ فإني أريد أن  
أبين أن تفخيمك للمنطق لا يعني عنك شيئاً، وأنك تجهل  
حرفاً واحداً في اللغة التي تدعوهها إلى حكمة يونان ومنْ  
جهل حرفاً أمكن أن يجهل حروفًا، ومن جهل حروفًا جاز أن يجهل  
اللغة بكمالها، فإن كان لا يجهلها كلها ولكن يجهل بعضها،  
فلعله يجهل ما يحتاج إليه، ولا ينفعه فيه علم ما لا يحتاج  
إليه. وهذه رتبة العامة أو رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير؛  
فلم يتأنى على هذا ويتكبر، ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة  
ال الخاصة، وأنه يعرف سرَّ الكلام وغامض الحكمة وخفيَّ  
القياس وصحيح الرهان؟

وإنما سألك عن معاني حرف واحد، فكيف لو نشرتُ  
عليك الحروف كلها، وطالبتُك بمعانيها ومواضعها التي لها  
بالحق، والتي لها بالتجوز؛ سمعتكم تقولون: إن «في» لا  
يعرف النحويون مواقعها، وإنما يقولون: هي «للوعاء» كما  
يقولون: «إن الباء للإلصاق»؛ وإن «في» تقال على وجوه:  
يقال «الشيء في الإناء» «والإناء في المكان» «والسائس في  
السياسة والسياسة في السائس».

... فقال أبو سعيد: للواو وجوه وموقع: منها معنى العطف في قوله: «أكرمت زيداً وعمرأ» ومنها القسم في قوله: «والله لقد كان كذا وكذا» ومنها الاستئناف في قوله: «خرجت وزيد قائم» لأن الكلام بعده ابتداء وخبر، ومنها معنى رب التي هي للتقليل نحو قولهم: «وقاتم الاعماق خاوي المخترق». ومنها أن تكون أصلية في الاسم، كقولك: واصيل واقد وافد، وفي الفعل كذلك، كقولك: وجل يومجل؛ ومنها أن تكون مقصومة نحو قول الله عز وجل: «فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه»، أي ناديناها؛ ومثله قول الشاعر: «فلما أجزنا ساحة الحي وانتهى» انتهى بنا؛ ومنها معنى الحال في قوله عز وجل: «ويكلم الناس في المهد وكهلا» أي يكلم الناس في حال كهولته؛ ومنها أن تكون بمعنى حرف الجرّ، كقولك: استوى الماء والخشب أي مع الخشبة.

فقال ابن الفرات لمتى: يا أبا بشر، أكان هذا في منطقك؟

ثم قال أبو سعيد: دع هذا، هنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي، ما تقول في قول القائل: «زيد أفضل الإخوة»؟ قال «متى»: صحيح. قال: فما تقول إن قال «زيد أفضل إخوته» قال «متى»

صحيح. قال: فما الفرق بينهما مع الصحة؟ فبلغ<sup>(١)</sup>  
وجنح<sup>(٢)</sup> وغضّ بريقه.

فقال أبو سعيد: أفتیت على غير بصيرة ولا استبانة؛  
المسألة الأولى جوابك عنها صحيح وإن كنت غافلاً عن وجه  
صحتها؛ والمسألة الثانية جوابك عنها غير صحيح وإن كنت  
أيضاً ذاهلاً عن وجه بطلانها.

قال متى: بين لي ما هذا النهجين؟

قال أبو سعيد: إذا حضرت الحلقة استفدت، ليس هذا  
مكان التدريس بل هو مجلس إزالة التلبيس، مع من عاده  
التمويه والتшибيه، والجماعة تعلم أنك أخطأت، فلِمَ تدعى أن  
النحوئ إنما ينظر في اللفظ دون المعنى، والمنطقى ينظر في  
المعنى لا في اللفظ؟ هذا كان يصح لو أن المنطقى كان  
يسكت ويجلل فكره في المعاني، ويرتب ما يريد بالوهم  
السانع والخاطر العارض والحدس الطارئ، فاما وهو يريغ  
أن يبرر ما صبح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر،  
فلا بدّ له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقاً  
لفرضه، وموافقاً لقصده.

---

(١) أي أعيّ وعجز.

(٢) أي مال.

... فقال أبو سعيد: إذا قلت: «زيد أفضل إخوته» لم يجز، وإذا قلت: «زيد أفضل الإخوة» جاز؛ والفصل بينهما أن إخوة زيد هم غيرُ زيد، وزيدٌ خارج عن جملتهم. والدليل على ذلك أنه لو سأله سائل فقال: «منْ إخوة زيد»؟ لم يجز أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد وإنما تقول: بكر وعمرو وخالد، ولا يدخل زيدٌ في جملتهم، فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن تقول: أفضل إخوته، كما لم يجز أن تقول: «إن حمارك أفضل البغال» لأن الحمير غير البغال، كما أن زيداً غيرُ إخوته، فإذا قلت: «زيد خير الإخوة» جاز، لأنه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة، ألا ترى لو قيل: «منْ الإخوة»؟ عددهُ فيهم، فقلت: «زيد وعمرو وبكر وخالد» فيكون بمترلة قولك: «حمارك أفضل الحمير» لأنه داخل تحت الاسم الواقع على الحمير. فلما كان على ما وصفنا جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس، فتقول: «زيد أفضل رجل» و«حمارك أفضل حمار» فيدل «رجل» على الجنس كما دلَّ الرجال؛ وكما في «عشرين درهماً ومائة درهم» . . .

وكان الحديث في الليلة التاسعة والثلاثين حول الجواب الحاضر، واللفظ النادر، والإشارة الخلوة، والحركة الرَّضِيَّة، والنغمة المتوسطة .

وتناول حديث الليلة الأربعين، الشعر والشعراء، والنقد، وعلم الكلام، واشتاتاً من الموضوعات المختلفة، مع مناقشات لطيفة وحوار عذب.

... لكن حديثنا أبو محمد العروضي عن أبي العباس المبرّد قال: سأله عبيد الله بن سليمان عن أبي تمام والبحترى: فقلتُ: أبو تمام يعلو علو رفيعاً، ويسقط سقوطاً قبيحاً والبحترى أحسن الرجلين نمطاً، واعذبُ لفظاً...

... واجتمع رجالان: أحدهما يقول بقول هشام، والأخر يقول بقول الجوالىقى؛ فقال صاحب الجوالىقى لصاحب هشام: صفت لي ربك الذى تعبده، فوصفه بأنه لا يد له ولا جارحة ولا آلة ولا لسان، فقال الجوالىقى: أيسرك أن يكون لك ولد بهذا الوصف: قال: لا، قال: أما تستحي أن تصف ربك بصفة لا ترضاه لولدي! فقال صاحب هشام: إنك قد سمعت ما نقول، صفت لي أنت ربك؛ فقال: إنه جعد قطط في أتم القامات وأحسن الصور والقوام. فقال صاحب هشام: أيسرك أن تكون لك جارية بهذه الصفة تطئها؟! قال: نعم، قال: أما تستحي من عبادة من تحب مباضعة مثيله! وذلك لأن من أحب مباضعته فقد أوقع الشهوة عليه.

فقال: هذا من شؤم الكلام ونكد الجدل، فلو كان

هناك دين لكان لا يدور هذا في وهم ولا ينطق به لسان.  
وحكى أيضاً قال: آبُتُلَيْ غلامٌ أعمجي بوجع شديد،  
فجعل يتأوه ويتلوي ويصيح. فقال له أبوه: يا بُنْيَ أصبر  
واحمد الله تعالى. فقال: ولماذا أحمسه! قال لأنَّه ابتلاه  
بهذا؛ فاشتد وجع الغلام ورفع صوته بالتأوه أشدَّ مما كان،  
فقال له أبوه: ولم اشتد جزُعلك! قال: كنت أظنُّ أنَّ غير الله  
ابتلاني بهذا فكنت أرجوه أن يعافيني من هذا البلاء ويصرفه  
عني، فأما إذا كان هو الذي ابتلاني به فمن أرجو أن يعافيني!  
فالآن اشتد جزعي، وعظمت مُصيبيتي. قال: ولو علِمَ أنَّ  
الذي ابتلاه هو الذي استصلاحه بالبلاء ليكونَ إذا وهب له  
العافية شاكراً له عليها بحسٍ صحيحٍ وعلمٍ تامٍ لكان لا  
يرى ما قاله وتوهَّمه لازماً.

وحكى أيضاً أنَّ رجلاً من العجم حَجَّ وتعلق بأستار  
الكعبة فطفق يدعو ويقول: يا من خلق السباع الضاربة  
والهوام العادية، وسلطها على الناس، وضربهم بالزمانة  
والعمى والفقر وال الحاجة؛ فوثب الناسُ عليه وسبوه وزجروه،  
وقالوا: أدْعُ الله بأسمائه الحُسْنى. فأظهر لهم النَّدَامة،  
والتَّقَارُف فخلوا عنه بعدما أرادوا الواقعة به، فرجع وتعلق  
بأستار الكعبة، وجعل يُنادي: يا مَنْ لم يخلق السباع  
الضاربة، ولا الهوام، ولا سلطها على الناس، ولم يضرب

الناس بالأوجاع والأسقام . فوثبوا عليه أيضاً وقالوا له : لا تقل هذا فإن الله خالق كل شيء ؟ فقال : ما أدرى كيف أعمل ؟ إن قلت : إن الله خالق هذه الأشياء وثبتتم عليّ ؟ وإن قلت : إن الله لم يخلقها وثبتتم عليّ . فقالوا : هذا ينبغي أن تعلمه بقلبك ولا تدع الله به .

fmمواضوعات الكتاب كما ترى متنوعة تنوعاً ظريفاً لا تخضع لترتيب ولا تبوب ، إنما تخضع لخطرات العقل وطيران الخيال وشجون الحديث ، حتى اننا لنجد في الكتاب مسائل من كل وفن ، من أدب وفلسفة وحيوان ومجون وأخلاق وطبيعة وبلاغة وتفسير وحديث وغناء ولغة وسياسة وتحليل شخصيات لفلاسفة العصر وادبائه وعلمائه ، وتصوير للعادات ، وأحاديث المجالس ، وغير ذلك من الموضوعات .

## نماذج من المقابلات

### ٦ • المقابلة الخامسة:

سئل أبو سليمان عن الكهانة وما يلحق بها من أمور الغيب، وعن التنجيم وما يقدر به على أحكام المستقبل، وعن النبوة التي هي في محلها الأعلى ومكانها الأشرف. فتصرف في الجواب أحسن تصرف، على سعة من اللفظ والمعنى. ولكن تفلت كثيراً منه بسوء اللقن، وقلة العناية، ومقدار الحاصل منه قد أثبته في هذا الموضوع، خوفاً من أن يذهب نسياناً. فإن وافقتني فيه ففائدة حاصلة، وإن قصرت بي فحالة محتملة، وما علي إلا الجهد، وبذل المطاق. وإذا عذرني المتكرم المنصف، لم أحفل بالمنتظر المسرف، والله يعين أهل الحق بلطفه.

قال: الكهانة قوة إلهية، توجد في شخص بعد شخص، بسهام سماوية، وأسباب فلكية، وأقسام علوية. فإذا توسرت صارت في منصف البشرية والربوبية. فحيثئذ يكون ما يبدو بها مشارياً إلى غيب أمور الدنيا، وإلى غيب

أمور الآخرة، على حد يكاد يكون على سواء. والغلبة مع ذلك لأمور الدنيا، لأن الإنسان بالطبيعة أكثر منه بغيرها، في الأعم الأغلب، والشائع الأشمل. فإن تحدرت هذه القوة قليلاً، كانت الإشارة إلى أمور عالية شريفة. ومجال النبوة، بين أثناء هذه القوة، بالترقي والتحدر. وكلما كان التباس النفس بالمزاج الموافق أقوى، كان النور المقتبس من هذه القوة أسطع وأعلى.

فعلى هذا قوة المنجم متتبعة لأثار الكواكب تتبعاً ضعيفاً، لأن الآلة لا تساعد، والصبر لا يوافي. وذلك أنه يستقرى هذه الأمور المتشرة من تلقاء نفسه، ومن ناحية اختياره وقصده، ويستجر القوى من على إلى نظره وبحثه. ولن يست قوة الكاهن كذلك، أعني ليست تتبع، بل هي كالإلقاء، والوحي، والسائح، والطارىء. فإن اجتمعت القوتان، أعني قوة التتبع بالصناعة وقوة الاقتباس بالكهانة، ظهر كل أمر عجيب، وسمع كل قول غريب.

ثم قال: وعلى ما تبين، فإن الكهانة أقوى إذا كان صاحبها لا يشوبها بشيء من الحس، وألقاها على صفاتها ونقائصها، لأن قوتها تنسكب من محل الأعلى، فنسبتها بالعلة الأولى تامة، قوية، صحيحة، واضحة.

قلت له: فهل يخطئ الكاهن كما يخطئ المنجم؟

فقال: نعم يخطيء، وليس الخطأ منه محالاً، لأن قوته لا تبلغ الغاية في الخلاص أبداً، بسبب تركيبه الذي هو سبب استحالته، واستحالته ما يجاوره بنفسه.

قال له أبو العباس البخاري: فهل يخطيء صاحب النبوة؟ قال: نعم. ولكن لا يقدح خطأه في الحال التي رشح لها، ووشح بها، وجعل سفيراً إلى الخلق من أجلها. بل يحرس حراسة إن لم تنف عنه كل الظنة لم تعلقه كل قرفة. قلت له في هذا الموضوع: فهلا يحلّى شخص بقوة النبوة من غير أن يستسفر بها، ويعرض للخلق من أجلها؟ قال: نعم. لا مانع من ذلك. ولو لا هذه القوة، التي تشيع على حدودها ومراتبها، في أشخاص العلماء والبررة، ما كان يصح حدس، ولا تصدق نفس، ولا يتحقق ظن، ولا يتوضع وهم. بل هذا أمر في غاية الغلبة والظهور حتى في كثير من أنفس العوام.

ثم حكى في هذا الفصل: ان رجلاً بزنكان<sup>(١)</sup> كان يقال له خدا داد<sup>(٢)</sup>، وكان مكارياً صاحب حمير ويخدمه عليها غلمان، ويثق به في عمله تجار كبار. وانه في بعض

(١) زنكان: اسم بلدة، ولعلها زكان، وهي بلدة بسمرفند.

(٢) خدا داد: اسم رجل. وأصلها من لفظين: خدا = الله. دا = عطية، أي عطية الله.

طرقه وأسفاره، سَبَبَ الحمير، وطرح الأثقال، وقال: ليأخذ من شاء ما شاء. وعاد إلى بيته، على ولِئِ شديد، لا ينطق بحرف، ولا يتعلّق بأمر، ولا يستوضّح من حاله شيء. فساء أهله ذلك وعارفه، وأطالوا عليه. فلما كان في بعض الأيام، وقد احتشوه بكل قول، ورموه عن كل قوس، توجّه نحو الحائط، وقال: يا قوم ما لكم ومالي معكم؟ وما هذا التعجب والإكثار؟ أما رأيتم من كان قاعداً على مزبلة، فنبعت من بين يديه عين صافية بماء كالزلال عذب، فشرب منها، وتبخّر بها، وعاشت روحه بمجاورتها، وكانت سبب ريه الذي لا ظمأ بعده، وظهره الذي لا دنس معه. هذا تمام الحكاية.

قال قائل لأبي سليمان، عند هذا الفصل: حدثنا عن نكتة في هذا الموضوع، فإنه قد جرى ما لا مزيد عليه، ولا تقصير معه، ولا بد من انتهاز كل فرصة يحتمله هذا الباب. ما بال الكلام الذي يأتي به صاحب هذه القوة، يظهر محتملاً للطعن، وهدفاً للتهمة، وطريقاً إلى القالة الشنعة؟ فقال: هذا بالواجب، لأن صاحب هذه القوة يرسل القول إرسالاً، بحدة قوته مرة، وبخmodها مرة، ويتوسطها أخرى. ولها في نفسها شأن، وبالإضافة إلى مزاج صاحبها شأن، بل بالإضافة إلى كل حال عارضة، وإلى كل سبب واقع، والنسبة عاملة عملها، والبشرية جارية على خواصتها. فحيينذ خرج ذلك

الكلام بين مراتب ثلاث: في الغاية التي لا غاية وراءها، وفي التوسط الذي يعتدل فيه، وفي الطرف الأدنى، وفيما بين ذلك كله بالأرجح والأنقض، والأقل والأكثر. والتأويل يركب متونها، والظن يسري في أطرافها، والقالة تجد سبيلاً إلى التشنيع عليها. فلهذا وأشباهه يكون ذلك. على أن هذا إذا تؤمل بالنصفة، مقيساً إلى الطبائع المختلفة، والعادات المتباعدة، والأغراض المتشعبية، كان في نصاب الحكمة ثابتاً، وعلى مدارجها جارياً، وإلى أصولها وفروعها نازعاً. ولو لا ضيق أعطان<sup>(١)</sup> الناظرين في هذه العوارض عن التثبت والإنصاف، لكان يتجلى هذا كل التجلي، ويزول عنه الخلاف كل الزوال. قيل لأبي سليمان: أليس لو صفت الحال هنا من عارض خطأ، وسائح تأول، ومضروب مثل، كانت أبلغ في المعنى، وأنفى للتهمة من العدى؟؟ قال: بلى. ولكن ليس كل ما شهد العقل بصفاته وطهارته وبعده عن الدنس والدرن في أفقه وعالمه، يجوز أن يوجد ذلك على كماله في عالم الحس المشوب الكدر، الذي لا ثبات له ولا مستقر. وكيف يجوز أن يوجد كل ما هو بالقوة، في كل شيء بالفعل، في حال واحدة؟ كأنك تريد أن تعرى البشر من البشرية. وهذا ما لا يكون، ولا يجوز أن يكون. بل

---

(١) اعطان: جمع عطن وهو مbrick البعير، لكنني به عن ضيق النفس، والنظر.

تفاوت مراتب أصحاب هذه القوة، بحسب أنصيائهم، حين انقسمت عليهم، فيتخلوا بها على مقادير مزاجهم وطبعاتهم ونهوضهم واحتمالهم، وذلك التفاوت هو الذي يعلی حال هذا، ويحط شأن هذا عن هذا، إلى آخر أفق الإنسانية المحتملة لغاية هذه القوة الشريفة. ثم ان الأخلاق والألفاظ تابعة لها، على ما تبدو به من الضعف والقوة، والبيان واللغز، والتوسط.

ثم قال: والبلاء الأعظم في أمر الأنبياء عليهم السلام، أنّ من الناس من يظن أنه كذبه أصحاب حيل، ومنهم من يظن أنه لا يجوز أن يقع منهم شيء من القول والفعل يتعلق بما يوجب التهمة ويجلب الشك. وكان وراء هذين الرأيين من هذين الصنفين القول الحق، الذي لا يكون بعده تلبيس وتأويل. وذلك أنه ينبغي أن يعلم أن الشخص المخصوص بهذه القوة على الدرجة بها، رفيع المكان معها، ما دام يخبر بها وعنها، ولا يمزجها بغيرها، فإنه حينئذ ينبغي عن أعيان الأمور، وقلوب الأحوال، وعواقب الأيام. فاما إذا عاد إلينا مفارقاً الاقتباس، داخلاً في عادة ذوي الإحساس، فهو كواحد من ضرباته ولداته، إن أصحاب فيقيظته، وإن أخطأه بفطنته، لأنه في مسلك غيره من البشر، ومسلول من الطين الأول، ذو طبائع أربع متعاندة، وعناصر متشابكة، لا فرق

بينه وبين غيره البتة، ما دام الحال على ما وصفنا وحددنا. فاما إذا انبعثت القوة بسلطانها، وانجست النفس ببرهانها، فإن هذا الشخص يأتي بك ما يهدى العقول، ويصلح الأحوال، ويقنع النفوس، وينظم المصالح، ويقوم الأخلاق، ويهدب الطبائع، ويكون نور العالمين، ورحمة للخلق أجمعين.

ثم خرج من سياحه هذا، إلى الفرق بين الشريعة والفلسفة. وحفز الجماعة المساء، ولم يستوف ذلك على حقه. ولعلني أعود على هذه المقايسة فأتي بما يكون محيطاً بأكثر قوله في مواضع آخر من غيره، فقد بعت<sup>(١)</sup> جداً بالكلام الذي تعقد أوله باخره، وساء تأليفه من جميع حواشيه، وبيان التقصير في نشره وروايته. وعلى أنك، أadam الله حياطتك، لو علمت على أي حال نقل هذا القدر، وفي أي وقت، وبأي قلب، ومع أي شغل، لاستكثرت قليله، وحمدت الموفق له. وما أكثر ما أخذت نفسي بتحول ذلك كله إلى نمط آخر، بطراز آنقي من هذا الطراز، واحتراز أشد من هذا الاحتراز، إذا أذن الله بزوال ما هم النفس والبالي، وانحسار ما هم الصغار والكبار، بمنه السابع، وفضله المشهور.

**مكتبة لسان العرب**  
[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

---

(١) بعت: جزٌ.

## المصادر والمراجع

ابن الأثير: الكامل  
أحمد أمين: ظهر الإسلام، مقدمة الامتناع والمؤانسة.  
آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري.  
أبو حيان التوحيدى: الامتناع والمؤانسة، المقايسات، رسالة  
في العلوم، الصدقة والصديق، مثالب  
الوزيرين، الإشارات الإلهية.

حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي.  
حسين مروة: تراثنا كيف نعرفه، بيروت مؤسسة الأبحاث  
العربية ط ١٩٨٥.

حسن نور الدين: الفردية أو الأنما في شخصية أبي حيان  
التوحيدى، مجلة الفكر العربي بيروت -  
عدد ٥٤.

الطبرى: تاريخ الأمم والملوك.  
عبد الوهاب عزام: ذكرى أبي الطيب بعد ألف عام.  
عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي.

زكي مبارك: النثر الفنى، بيروت دار الجيل.  
محمد علي طباطبا: الفخرى في الآداب السلطانية.  
مصطفى الشكعة: مذكرات في المكتبة العربية.  
ياقوت الحموي: معجم الأدباء، بيروت، دار إحياء التراث العربي.

# فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	١ - عصرة ، نبذة تاريخه
٥	أ - الناحية السياسية .....
٩	ب - الحياة الإجتماعية .....
١٢	ج - الناحية الثقافية .....
١٧	٢ - أبو حيان التوحيدي
١٧	أ - حياته وصفاته .....
٢١	ب - أصله ونشأته .....
٢٤	ج - مهنته وثقافته ومؤلفاته .....
٢٩	د - علاقاته واتصالاته .....
٣١	هـ - شخصيته .....
٣٥	و - الشكوى في أدبه .....
٤٤	ز - الإزدواجية في شخصيته .....
٤٨	ح - فكره وعقيدته .....
٥٠	ق - اسلوبه .....

٣ - كتاب الامتناع والمؤانسة .. .	٥٢
أ - محتواه ومنهجه .. .	٥٢
ب - نسخ الكتاب .. .	٦٥
ج - كيف بدا التوحيدى من خلال كتابه .. .	٦٩
٤ - التعريف ببعض كتبه الأخرى .. .	٨١
أ - المقابسان .. .	٨١
ب - موضوعات المقابسات .. .	٨٥
ج - كتاب الهوامل والشوامل .. .	٩٣
د - كتاب الصداقة والصديق .. .	٩٤
ه - كتاب مثالب الوزيرين .. .	٩٥
و - كتاب البصائر والذخائر .. .	٩٥
ز - كتاب المحاضرات .. .	٩٦
ج - كتاب تقرير الطاحظ .. .	٩٦
ك - رسالة العلوم .. .	٩٨
ل - الزلفة .. .	٩٨
م - الإشارات الإلهية .. .	٩٨
٥ - بعض النماذج من كتاب الامتناع والمؤانسة .. .	١٠٠
٦ - نماذج من المقابسات .. .	١١٩
المصادر والمراجع .	١٢٦
المصادر والمراجع .. .	١٢٦

**مكتبة لسان العرب**  
[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)